السنة الرابعة (شعبان سنة ١٣٥٦ هـ — أكتوبر سنة ١٩٣٧ م) العدد الثانى

صحيفة دار العلوم

م ١٩٣٤

مجلة الأدب واللغة والتربية والاجتماع

تصدرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات «صحيفة دار العلوم» فى جميع مدارسها

رئيس التحرير	المدير
محمد على مصطفى	محمد نجيب حتاتة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية
ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى
المدرس بدار العلوم

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشا
خارج القطر	٦ شلنات انجليزية
ثمن العدد	٥ قروش

المطبعة الرحمانية
مديرها وكيلها سيد سلطان ...
٣٥ شارع الخرنفش بمصر تليفون ٥٣٦٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

يصدر هذا العدد من صحيفة دار العلوم ، وقد أسبغ الله على مصر نعمته ، وشملها برعايته ؛ إذ جلس على عرشها المليك الشاب المحبوب ، صاحب الجلالة « **فاروق الأول** » ملك مصر المستقلة الناهضة ، أيد الله ملكه وثبت دعائمه وأعز سلطانه !

وهل فى الوجود نعمة أجل شأنا ، وأرفع قدراً ، وأبلغ أثراً فى العمران . من أن يلى الملك فى البلاد ملك عادل ، فيه شباب وقوة ، وعزم وفتوة ، وحزم وحسن تدبير ، مع أصالة رأى ، وثاقب نظر ، وعطف على الرعية ، وحدب على مصالحها ، ورعاية لشئونها وجميع مرافقها ؟ أحب الشعبَ فأحبه الشعب ، وافتَنَّ فى الإعراب عما يكنه من الإخلاص لعرشه ، والولاء لذاته الكريمة ، وأعز الدين ، ورفع من قدر العلم ، وكرم أهله ، فرأى العلماء طاعته فرضا عليهم ، وامتلأت قلوبهم بحبه ، وطالما ضرعوا إلى الله ، عقب كل صلاة ، وفى كل لحظة تفرغ فيها النفس من شواغل الأيام ، أن يحفظ ذاته للدين والدنيا معاً .

وهل رأيت منظراً أروع ، وآية أبدع ، من تلك الجموع الزاخرة ، التى سارعت لاستقباله ، إلى عاصمة ملكه يوم بزغ بدره فيها ؟ لقد أتوا إلى القاهرة من القرى والدساكر ، والمدن والحواضر ، يستبقون إلى التمتع بطلعة مليكهم العظيم ، ويتنافسون فى وسائل الإخلاص لجلالته . وهل رأيت ذلك النور المتلالىء فى الفضاء ، والنجوم الساطعة فى أديم السماء ، وأحسست قلوب الشعب بأسره خفاقة بالحب ، فياضة بالولاء ، وأبصرت علامات الغبطة والابتهاج تقرأ واضحة فى جميع الوجوه ، وترتسم ناطقة على الجباه ؟ لمن كل هذا ؟ إنه الشعب الوفى لمليكه خرج للقائه ، سعيداً بولايته على عرش آبائه وأجداده . إنها الأمة المصرية المجيدة فى أسعد أعيادها القومية .

وهل خاطب ملك شعبه بمثل ما خاطب به الفاروق الأمة المصرية ؟ :

رسالة الملك الى شعبه

شعبي المحبوب :

أبعث إليكم بأطيب التحية ، وبودّي لو استطعت مصافحة كل فرد منكم ؛ لأعرب لكم جميعاً عن عميق شكري ، ووافر حبّي ، وعظيم تقديري ، لكل ما أبديتموه نحوي : من خالص الحب ، وصادق الولاء .

وإنه ليسرّني — وقد باشرت سلطتي الدستورية — أن أفضي إليكم بكل ما وطنت عليه نفسي : من احترام الدستور ، وقوانين الأمة المصرية ، والمحافظة على استقلال الوطن وسلامة أراضيه ، وأن أعاهدكم على وقف حياتي وجهودي على خدمة البلاد ، وإعزاز شأنها ، وإعلاء كلمتها ، وإسعاد أهلها ، حتى نظفرَ لمصر الخالدة بالمكانة الجديرة بها ، وبماضيها المجيد .

ولسوفَ يكون رائدي على الدوام صالح الوطن قبل كل اعتبار ؛ فأبناء مصر جميعا ملك للوطن ، كلُّهم جنوده ، وكلُّهم خدامه ، وملككم أول خادم للوطن ، أحبُّكم إليه أشدكم رعاية لواجبه ، وأكرمكم لديه أكثركم تفانيا في خدمة الوطن .

على أني أصارحكم بان مجد الوطن يتطلب تضافر كلّ القوى ، وتعاون جميع الهيئات ؛ حتى يتحقق لبلادنا العزيزة ما نرجوه لها : من عزٍّ شامخ ، وهناءة دائمة ، وسعادة شاملة .

وإذا كانت إرادة الله ، قد شاءت أن تلقي على عاتقي في هذه السنّ المبكرة ، عبء النهوض بتبعات الملك ، والاضطلاع بالمسئولية ، فإني أشعر كل الشعور بما على من الواجبات ، ولن أقف عند أي تضحية في سبيل أداء الواجب ، وتحقيق خير الأمة ، وسعادة الوطن .

وإنى لأهيب بكم جميعا ، على اختلاف ميولكم ونزعاتكم ، أن تجعلوا شعاركم : الواجبَ ، والوطن ، وأن تتقوا الله فيما تعملون .

وأرى من واجبى في هذا المقام أن أعرب عن خالص شكرى لأمتى العزيزة ، وضيوفها الأجانب الكرام ، ولحكومتى الوفية ، والبرلمان الموقر ؛ لما أبدوه ، وما يبدونه ، من آيات الإخلاص والولاء .

شعبى النبيل :

إنى معتز بكم ، فخور بولائكم ، واثق بالمستقبل ثقتى بالله ، فلنوطد العزم ، ولنعمل معا ؛ نفز ، ونسد .

وليحى الوطن !

ooo

لقد سمعنا رسالة المليك ، فخشعت عند سماعها القلوب ، وامتلأت النفوس غبطة وأملا وفخاراً ، ففى هذه الرسالة من روائع الكلم فى حب الوطن ، وإعلاء شأنه ، والعمل على إسعاد بنيه ، ما تهتز له القلوب ؛ إجلالا لمليك البلاد ، وإعظاماً لنفسه السامية ، وتقديراً للمثل الأعلى الذى رسمه لشعبه ، فى كلمات تفيض قوة ويقينا ، وتنم عن رغبة جلالته الصادقة ، فى أن يرى شعبه فى الذروة العالية ، من المجد المؤسس على الخلق القويم .

لقد أفضى المليك إلى شعبه الوفى بما يكنه قلبه الكريم ، من حب للفضيلة ، وإعلاء لشأن الواجب ، وإعزاز للوطن ، واستعداد للتضحية فى سبيل إنهاضه ، ورفعة مكانته . وتلك شيم نبيلة ، تبعث فى الشعب كريم الخلال ، وتملأ قلبه إخلاصا وعزماً . وتزيده استمساكا بما حوته رسالة المليك ، من مبادئ سامية . وحكم رصينة ، أساسها أداء الواجب ، وحب الوطن ، واحترام دستور البلاد ، وقوانين الدولة .

ويقيننا أن شباب هذا الجيل ، سيسارعون إلى تلبية هذا النصح القويم ، الذى فاه به مليك البلاد ، ويعقدون العزم على اتخاذ هذه الحكم الرشيدة نبراساً يضىء

لهم سبيل الحياة، ودعامة يقيمون عليها مجد الوطن، والمستقبل السعيد للبلاد.

* * *

ولقد كان ابتهاج الأمة عظيما بتولى المليك سلطته الدستورية، والجلوس على عرش مصر الخالدة، وعم السرور البلاد جميعها، وامتلأت القلوب بشرا واغتباطا. وانطلقت الألسنة بالدعاء لجلالة الملك: أن يرعاه الله بعنايته، ويجعل عهده السعيد، مقرونا باليمن، والخير للبلاد.

وإن أبناء دار العلوم، لفخورون بأن يقوموا بنصيبهم من آيات الولاء والإخلاص، لسليل الأسرة العلوية؛ فإن دار العلوم معهدهم العريق، هو من غرس جده العظيم إسماعيل، أقام صرحه ليقوى به النهضة الحديثة، وليضع أساسها على دعائم قويمة قوية، تجمع إلى تراث الماضى، مقومات النهوض الحديث.

أظهر أبناء دار العلوم ولاءهم للمليك، فى حفلتين عظيمتين، أقامتهما جماعة دار العلوم بناديها: الأولى كانت حفلة سمر باهرة، أقيمت يوم الأحد ٢٥ من يوليه سنة ١٩٣٧ بمناسبة عودة حضرة صاحب الجلالة الملك إلى مقر ملكه السعيد. فى مساء ذلك اليوم حفل النادى بجمهرة من أبناء دار العلوم وأصدقائهم، الذين لبوا دعوتهم، فامتلأت بهم حجراته، التى ازدانت بما نسق من أزهار. وفى جانب من البهو الكبير للنادى، أقيم مسرح صغير، أعد لفرقة من المغنين؛ ولإلقاء المقطوعات الفكاهية، وقد أديرت المرطبات والحلوى على الحاضرين، وظلوا جميعاً فى سمر شطراً من الليل، قضوه فى ابتهاج وسرور، وختموه بالدعاء لجلالة الملك أن يحفظ الله ذاته الكريمة ذخرا للبلاد!

والحفلة الثانية كانت حفلة أدبية أقيمت بنادى دار العلوم فى مساء ٣٠ من يوليه، وقد افتتحها الأستاذ نجيب حتاتة مراقب التعليم الأولى المساعد ورئيس الجماعة بكلمته المنشورة بعد ذلك، ثم تبارى فيها فريق من شعراء دار العلوم،

وفى مقدمتهم الشاعر الكبير الأستاذ على بك الجارم المفتش الأول للغة العربية ، وكانت قصيدته تقابل بمظاهر عميقة من الإعجاب ، ثم تلاه الأساتذة : عبد العزيز عتيق ، وفايد العمروسى ، وعبد الله عبد الجليل . وكان شاعر دار العلوم الأستاذ محمود حسن إسماعيل يعتزم حضور الحفل لإلقاء قصيدته ، ولكن مرضاً عاقه عن الحضور ، فأرسل قصيدته المنشورة مع القصائد الأخرى فى هذا العدد ، وجميعها تعبر عن خالص الولاء ، وصادق الإحساس .

* * *

وإن الصحيفة لتعبر عما تكنه جماعة دار العلوم للمليك المحبوب من إخلاص وولاء ، وتسأل الله للبلاد الرخاء الشامل ، والعز الوطيد ، فى ظل مليك البلاد ، وحكومته الرشيدة ، ورجال مصر العاملين لخيرها وإسعادها !

كلمة الأستاذ نجيب حتاته

رئيس جماعة دار العلوم

إخوانى :

فى هذا اليوم الخالد فى تاريخ مصر الحديثة ، يجلس حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول على عرش مصر . فتبدأ البلاد فى ظل هذا الحكم السعيد ـ وهى تحور بمليكها المحبوب ـ عهداً من الرخاء والحرية والاغتباط ، تتمثل مظاهره فيما تجلى فى نواحى القطر : فى عواصمه الكبرى . وفى سائر المدن والقرى ، من الابتهاج العميم ، والفرح العظيم .

وإن رجال دار العلوم لمن أكثر أبناء الشعب اغتباطا بهذا اليوم ، الذى تتقدم فيه الأمة بأروع آيات الولاء والإخلاص ، والحب الصادق ، لمليكها المفدى . وهم فخورون بما نالوا من شرف الاتصال بخدمة شخصه الكريم ، فى تعليم جلالته اللغة العربية ، والدين الحنيف .

وإنا لنتوجه إلى مقام جلالة المليك ، بقلوب تفيض ولاء وإخلاصاً ، مبتهلين إلى الله تعالى أن يحفظ ذاته الكريمة ، مصدراً لإسعاد البلاد ورفاهيتها ، ونوراً يسطع سناه على الشرق ، وعلى جميع أقطار العالم الإسلامى .

سادتى :

ليس هذا مقام الناثر ولا الخطيب كما تعلمون ، وإنما هو مجال الشعر والشعراء . وستسمعون من بليغ الأشعار ما يدل على خالص الولاء للمليك المفدى .

وقبل أن أبارح هذا المكان أطلب من حضراتكم أن تهتفوا معى :

يعيش جلالة الملك !

التاجية الكبرى

لصاحب العزة الأستاذ على بك الجارم

خَشعَت لفيض جلالك الأبصارُ … وذكت بمسك خلالك الأشعارُ
وتوسَّمت مصرُ العُلا فى طلعةٍ … قد حفَّها الإجلالُ والإكبارُ
ملكٌ، تغار النيّرات إذا بدا … أسمِعْتَ أنّ النيرات تَغارُ؟
وَدَّتْ لو اشتَمَلَتْ بفضلِ ردائه … هيهاتَ! ثوبُ المجدِ ليس يُعارُ
شتّانَ بينَ النيراتِ، ومَنْ بهِ … سُبُلُ البُطُولةِ والحَيَاةِ تُنَارُ
تُهْدَى العيونُ بضوئهنّ؛ وضوْءه … تُهْدَى البَصائرُ فيهِ والأبصارُ
ولها مَدارٌ مِنْ فَضَاءٍ مُبْهَمٍ … ولكَ العُلا والمَكرُمَاتُ مَدارُ
غُضِّى جُفُونَك ياَنجومُ؛ فدونَهُ … تتضاءلُ الآمالُ والأقدارُ
أنتُنّ أقرَبُ مُشْبِهٍ لِهِبَاتِهِ … فكلا كُمَا مِنْ رَاحتَيهِ نِثارُ
مِنْ حُسْنِه اختَلَسَ الأصيلُ جمالَهُ … وَبِبِشْرِهِ تتبسّمُ الأسْحارُ
تبْدُو سَجايَا النُّبْلِ وَهْيَ قلائلٌ … فإذا حَلَلْنَ ذراهُ فهْيَ كِثَارُ
أنصرْنَ فيهِ نصيرَ كلِّ كريمةٍ … إنْ قلّتِ الأعوانُ والأنصارُ

✡ ✡ ✡

لله يومُك والضياء يعمه … فعشيُّه سيّانِ والإبكارُ
نسيتْ به الآمالُ جفوةَ دلّها … ومن الدلالِ تحجُّبٌ ونِفَارُ
يومٌ تغنّاه الزمانُ، وطالما … مدّتْ إليهِ رُءوسَها الأعصارُ

سفَرتْ به البشرى ، فطاح قِناعُها عمداً ، وطارَ مع الهواء خمار
والنفس أغرى بالجمال محجباً إن زُحزحت من دونه الأستار
ماصبحُ يوم والسماء مريضةٌ كصباحِ يومٍ والنهار نهار
يومٌ غدا بين الدهور مملَّكاً يُومَا إليـــه مهابةً وَيُشَارُ
الأمسُ يجزع أنْ تقدم خُطوةً وغدٌ أطار صـــوابَه استئخارُ
يوم جثا التاريخ فيه مدوِّناً لله ما قد ضمت الأسفارُ !
وتصفح الأخبار يبغى مثله هيهات تحوى مثله الأخبار
يوم ، كأن ضياءه من أعينٍ من طول ما اتجهت له الأنظارُ

✡✡✡

يكفيه أن يُنمَى لأكرم سُدَّة سعِدَتْ به الأيام والأمصارُ
بيتٌ ، لَهُ عَنتِ الوجوهُ خواشعاً كالبيت يُمسح ركنه ويُزَارُ
ضُمَّتْ بِهِ فِلَذُ القلوب ، فكوَّنت بيتاً ، فلا صخر ولا أحجار
النبل والخلق الكريم أساسه وَحِياطة المولى له أسوار
وَحُبِتْ به الساحاتُ ، فهْوَ مَثَابةٌ وعلا علوَّ الحق ، فهو منارُ

✡✡✡

غِيلٌ تهَابُ الأُسْدُ بَطشَ لُيوثه وتخونُهَا الأنيابُ وَالأظفار
مِنْ كل خطَّارٍ إلى غاياته يُزْهَى بِهِ الصَّمْصَامُ وَالخطَّار
ندْب إذا حلَّ الِحباء لِغارَةٍ ألقى السِّلاحَ الفارسُ المغوارُ
حامت نسورُ النَّصْرِ حول جيوشهم حتى كأن غبارَها أوكارُ

شُمْسُ العداوة ، والحسام مجرد　　فاذا انطوى فلائك أطهار
سبقوا وُثوبَ الحادثات ، وبادروا　　إنَّ الحياة توثب وبدار
وَعلَوْا لنيل المجد كلَّ مَطية　　لو كان نجماً فى السماء لطاروا
الخالدون على الزمان وأهله　　يفنى الزمان ، وتخلُد الآثارُ
جاءوا ومصْرُ عَفَتْ معالم مجدها　　لا مِصْرُ مِصْرٌ، وَلا الديار ديارُ
العلم يَخْفُق للزوال سراجه　　والعدل مُنْدكُّ الذرا منهار
والناس فى حَلَك الظلام، يسوقهم　　نحو الفَناء تخبطٌ وَعِثار
فبدا محمدُ كُم ، فهب صريعهم　　حيًّا ، كذاك البعث والإنشار
وأعاد مجد الأولين بعزمة　　إيرادُها لله والإصدار
إنَّ النفوسَ تضيق وهْىَ صغيرةٌ　　ويضيقُ عنها الكون وهى كبار

✡ ✡ ✡

فاروقُ ، عيدكَ هزَّ أدواح الْمُنَى　　وَتعَطَّرَتْ بعبيره الأزْهَار
اليُمنُ يسطع فى جبين نهاره　　والسعْد كوكبُ ليله السيار
رقصَت به الراياتُ باديةَ الحِلَى　　الْحُبُّ رنَّحَها والاستبشارُ
مُتلفتاتٍ حَولَ ركبك حُوَّماً　　لا يستقر لوجدهن قرارُ
متدللات ، ما عرفْنَ صبابةً　　نَشْوَى ، وَما لعبت بهن عُقار
جعلت سماء النيل روضاً أخضراً　　هيهات منه الروضةُ المعطار !

✡ ✡ ✡

والناسُ قد سَدُّوا الفضاء ، كأنهم　　بحر يَعجُّ عَجيجُه زَخَّارُ

لو صُبَّتِ الأمْطار صَبًّا فوقهم ... ما مَسَّ موطىء نعلهم أمطار
متجمعين ، كأنهم سِرْب القطا ... متدفقين ، كأنهم أنهار
قد لوَّحوا بالراحتين ، وزاحَمُوا ... وتلفتُوا بالناظرَيْن ، وَمَاروا
لهمُ دَوِيٌّ بالهُتاف وَضَجَّةٌ ... ولهمْ بصدق دعائهم تَهْدَار
رفعوا العمَارَ وبعثروا أزهارَهم ... فالجو زَهْرٌ ناضرٌ وَعَمَارُ
حب المليك الأرْيَحِيِّ شعارُهم ... لو كان يُنْسَجُ للوَلاء شِعار
قرءوا السعادةَ فى جبينك أسطراً ... بيد المهيمن هذه الأسطار
ورأوا شباباً كالجُمَان يزِينه ... (أنى التفتَّ) جلالةٌ ووقار
شَسْتَ القلوب،فنلتَ أكرَمَ ودّها ... وعرفْت بالإحسان كيف تثارُ
ومن القلوب حدائقٌ بسَّامة ... ومن القلوب سباسِبٌ وقِفار
مَنْ يغرسِ الصنعَ الْجَميل بأمة ... فله من الشكر الْجَميل ثمارُ
لما رأوك رأوا بَشَاشَاتِ الْمنى ... الوجهُ نضرٌ ، والشَّباب نضار
متسربلاً ثوب الهدى ، متواضعاً ... لله ، لا صَلَفٌ ، ولا استكبار
نور الإله يدور حولكَ هالةً ... لم تزدهرْ بمثيلها الأقمار
فى موكبٍ للمُلْك يختلِب النهى ... وتتيه فى تصويره الأفكار
فتن العيونَ الشاخصاتِ بسحرِه ... إنَّ الْجمَال لفاتنٌ سَحَّار

* * *

« فاروق » : تاجُكَ رحمةٌ وسعادة ... للوادِيَيْنِ وعِزةٌ وفخار
تتألق الآمالُ فى جَنَبَاته ... ويدور نجم السعد حيث يدار
ما ناله « كسرى » ، ولم يظفر له ... بمماثلٍ يومَ الفخارِ « نِزار »

نور الجبين السمْح مازج ضوءه فتشابه الأضواء والأنوار

✡ ✡ ✡

المُلْكُ فيك طبيعةٌ ووراثة والمجدُ فيك سليقةٌ ونجار
أعليْتَ دينَ الله (جل جلاله) فرسا له أصْلٌ، وطال جدار
الدينُ نورُ النفس فى ظلماتها والعقل يعثرُ، والظنون تحارُ
بين المنائر والمآذن بهجةٌ وتحدُّثٌ بصنيعكم وحوار
آيات نبلك فى شبابك سُبُقٌ للمجد، لم يُشْقَقْ لهن غبار
يبدو شذا الريحان أولَ غرْسه ويَبين قدْرُ الدُّر وهى صغار
فتحت لك الدنيا كنوزَ هباتها تختار منها اليومَ ما تختار
يمناكَ يمنٌ للبلاد، ورحمة غدَقٌ؛ ويسْرَى راحتيك يسار
بهرتْ رجالَ الغرب منكَ شمائلٌ: خلقٌ أغرُّ، وراحةٌ مدرار
عرفوا بمجدك مجدَ مصرَ ونبْلَها وتحدثتْ بخلالك السُّمَّارُ
وغدوتَ فألًا للعلا، فتحققت فيك المنى، وانحطَّت الأصار
وتخطَّرَت مصرٌ إلى فاروقها غيْداء، مَا شَانَ الجمالَ إسار
شمَّاء، يحْنى الدهرُ أصيدَ رأسه لجلالها، وتطأطئ الأقدار
فانعَمْ بما أوتيتَ، واهنأ شاكراً نِعَمَ الإله، فإنهنَّ غِزار
لا زلتَ بالنصر المبين متوَّجاً تحيا بك الأوطان والأوطار!

على الجارم

تحية الفاروق

للشاعر الأديب عبد العزيز عتيق

المدرس بمدرسة عباس الابتدائية للبنات

عائدٌ باليمنِ تحـدوهُ الأمانى صاعدٌ كالنجم فى أفقِ الزمانِ
مِن مَضاء الحقِّ ، من عَذْب المُنَى مِن رجاء الشعب ، من كلِّ المعانى
صاغه الله ، وأهـداه إلى ذلك الوادى حناناً من حنان

* * *

يا مليكَ النيلِ ؛ ما الحبُّ الذى قد سَرَى فى الشعب، فى كل كيان ؟
كلما سِرْتَ ، قلوبٌ جُمِعتْ فى هوى الفاروقِ من قاصٍ ودانِ
واسمكَ الميمون لَحْنٌ رائقٌ أين مِن إيقاعِه سحر الأغانى؟

* * *

يا سليلَ الملكِ يا فاروقُ ، يا نغمةً أصْغَى إليهـا المشْرقان
أنتَ ربُّ التاج تُعْلى قدرَه أنتَ ربُّ الملكِ ، ربُّ الصولجان
أنتَ فألُ النيلِ ، تُدنيـهِ إلى كل ما يرجوه من عزٍّ وشان
عصرك التوفيق للنيلِ ، وقد صـانه الدهر لذياك الأوانِ

* * *

أىَّ سـعْدٍ ساقه الله إلى أمةِ الفاروق ، مطلوقَ العنان
حققتْ مِصرُ به استقلالها ورمَت بالقيْدِ فى وجه الزمان
وصَحَت للمجدِ تَسْـعَى قُدُماً فى خُطَا الوثاب، مشبوبَ الجَنان

كتبَ اللهُ لها النصرَ على وجهِكَ السَّمْحِ ، فأنعمْ بالضمانِ

* * *

يا شبابَ النيلِ ؛ يا من صوتهم قوةٌ يعنو اليها الحَدَثان !
توّجوا بالحبِّ معبودَ الحِمَى إن تاجَ الحبِّ باقٍ غير فانِ
وامْلئوا الدُّنيا ، وسُودوا باسمِهِ إنّه ليس له في المُلْكِ ثانِ
هو من يُزهى به التاجُ ، ولا يَزْدهيه التاجُ في حسنِ افتنانِ
وانسِجُوا من مُهَجِ الشعبِ ومن فَرْحةِ الوادي عُروشاً كالجِنانِ
إنه البعثُ لشعبٍ ماجدٍ إنه البُشرى على كلِّ لسانِ !

* * *

يا مليكَ النيلِ في فجرِ الصبى وزعيمَ الشرقِ في أسعدِ آنِ
التعاويذُ وأشتاتُ الرُّقى ضَمِنَتْ للمُلكِ أسبابَ الأمانِ
نحنُ في صبحِكَ أدركْنا المُنى ما الذي نجني غداً في العُنْفُوانِ ؟
ليتني أبقى غداً حتى أرى دولةَ الفاروقِ في كلِّ مكانِ
لبَعثتُ الشعرَ في أرجائِها ملكيَّ اللحْنِ ، مصريَّ البيانِ !

* * *

يا مليكي ، ومليكَ الشعبِ ، يا بَسْمةَ الدنيا ، وإشراقَ الأماني
سرْ على اسمِ اللهِ ميمونَ الخُطا والتهاني لك تتلوها التهاني .

عبد العزيز عتيق

تاج الأمل

للشاعر الأديب فايد العمروسي
المدرس بمدرسة المنيرة الابتدائية للبنين

في شماع الخلود من بسماته رفرف التاج هاتفاً بحياته
ورنا العرش للمليك المفدى وترامي مقبلا وجناته
طاف ناى الزمان بالأمل النا عم يسقى الوجود من نغماته
أى لحن من العلا قدسيٍ أيقظ العمر من عميق سباته
حشد الشعب صائحا بالتهاني يتعالى الدعاء في هتفاته
للمليك الحبيب من قد حواه كل قلب فبات في خفقاته

☆ ☆ ☆

يا رجاء البلاد ، يا أمل الشعـ ب وفخر الشباب في صبواته
ذلك العصر موكب ذهبي صفق النصر في سنا خطواته
أيقظ المجد والفخار وأحيا تالد العز من ظلام رفاته
ملك صاغه الإله جلالا وأفاض التوفيق في قسماته
العبيق الفجرى من نفحاته والضياء السحرى من بسماته
هو للعرش نفحة من أبيه فيه فيض المضاء من عزماته

☆ ☆ ☆

مصر، يامصر ، حدثي المجد أنا من قديم العصور خير بناته
حدثي النيل راقصاً يتهادى في ظلال الرياض في جناته

حدثنى الصمت جاثما فى ذرا الأهـ رام يدوى الجلال فى همساته
ذاك ملك الفاروق ساد على الكو ن وألقى المنى على صهواته
ينطق السحر فى خلال رباه وترف الأحلام فى جنباته
أنت يا مصر نفحة من نداه فانهلى الصفو من ندىً هباته

✡ ✡ ✡

الشباب الشبابَ يا دولة العز وآى الزمان فى معجزاته
كم سعى للجهاد جد طروب مرخص الروح ممسكا زفراته
علمته الخطوب كيف يوالى وثبات الكفاح فى غمراته
تتساقى الطعان من دمه الغا لى فتذكى الدماء فى هجماته
الجهاد الكريم مأمله الغا لى ورمز الوفاء فى ذكرياته
أنت يا شعب كالفؤاد إذا ما آده الجهد زاد فى نبضاته

✡ ✡ ✡

أيها النيل قد مُنحت رخاء فافض ديناً لنا عليك وهاته
هاته من يد المليك مضاء يتحدى الزمان فى سخرياته
عانق النيل بالرجاء وأرسل روح فرعون فى خطا موجاته
سرح الطير في الرياض يردد أغنيات الآمال فى صدحاته
ودَع الفرحة الطليقة تسرى بشذاها الفياح فى نسماته

✡ ✡ ✡

عصر فاروق يابشير الأمانى يا خيال المحب فى نجواته

هيء النشء للجهاد وللمجـ ـد وأطلق إلى العلا قفزاته
شيع الروح فى سمائك ينهب سعد هذا الزمان فى سبحاته
طالما بات فى قيود المآسى خافت الحس كاتما صرخاته
وَهو اليوم يبعث الصوت فى الدنـ ـيا فتسرى الحياة فى أصواته
سمع الغرب صوته داوى الجر س فأصغى مستعذبا كلماته
قد دخلنا الوجود بعد كفاح وغداً سوف نعتلى هاماته

***

أيها التاج يا سليل المعالى يا مقيل الشقى من عثراته
مشرق السعد فى سناه المصفى ونعيم الآمال فى ومضاته
إيه يا تاج قد دعاك مليك خاطرات السمو بعض صفاته
وقف الدهر حول بابك يرنو يتناجى الرجاء فى نظراته
أغرم الشعب من شباب وشيب بك حتى الجنين فى سكناته
يرشف السعد تحت عرش الأمانى ويعب الشهي من رغباته
من دماء الوفاء يخفق للملـ ـك ويحمى حماه فى وثباته

فايد العمروسى

يوم العرش !

للشاعر الأديب محمود حسن اسماعيل

بمجمع اللغة العربية الملكي

شادِيكَ مِن قَصَبِ الفَرادِسِ نايُهُ … وَمِنَ السَّنا والطِّيبِ عُلَّ غِناؤُهُ
وَمِنَ الصَّبا نَهِلَتْ ظِلالَ أَراكَةٍ … سَجْواءَ نافِجُها غَفَتْ أَنْداؤُهُ
وَمِنَ الطُّفاوةِ فى أُصِيلٍ خاشِعٍ … سَجَدَتْ على زَهْرِ الرُّبَى أَضْواؤُهُ
وَمِنَ الأغانى البِيضِ رَنَّمَ لَحْنَها … مَلَكٌ تَرَقْرَقَ فى النُّجومِ دُعاؤُهُ
وَمِنَ المساجدِ هَيْنَمَتْ تحتَ الدُّجَى … صُوفِيُّها نَهَلَ الغُيوبَ صَفاؤُهُ
وَمِن الشُّعاعِ المسْتَهامِ بِقُبْلَةٍ … فى النِّيلِ طَهَّرَها هواهُ وَماؤُهُ
وَمِنَ السَّنا الرَّقْراقِ فى قَدَحِ الضُّحَى … أَغْرَى النَّديمَ ، فَوَلوَلَتْ صَهْباؤُهُ
وَمِنَ الطلاسمِ دسَّ مِنْ أَرْصادِها … هَرَمٌ أشابَ الخالدينَ فَتاؤُه
وَمِنَ الهدَى فى ظلِّ عَرْشِكَ خِلْتُهُ … أَقْباسَ وَحْيٍ هَلَّ مِنْكَ سَناؤُهُ
سجداتُ وَجْهٍ مُشْرِقٍ نَضَحَ التُّقَى … فى كلِّ ما لَمَحَتْ بِهِ سِيماؤُهُ
لَوْ راءَهُ (١) عاتِى المَجُوسِ تَخَشَّعَتْ … لِلنَّارِ مِنْ غَيِّ النُّهَى أَعْضاؤُهُ
لأَنْحازَ فى رَكْبِ النَّبِيِّ . . وَنارُهُ … نورٌ تَدَفَّقَ فى الصلاةِ ضِياؤُهُ !
وَمِنَ الهَوَى أَوْراهُ حُبُّكَ جاحِمًا … أَشْهَى مِنَ النَّسَمِ الرَّطِيبِ صِلاؤُهُ
يَسْرِى لَظاهُ بِكُلِّ مُسَبِّحٍ ذَرَّةٍ … فَيَكادُ يُشْعِلُ مِن هَواكَ فَضاؤُهُ

(١) رآه .

أنّى حللتَ أحلتَ تُربكَ معبداً ... تخضلُ من عبق المنى أرجاؤه
وقفَ المغنى فى حماكَ مُجلجلاً ... بالّلحن تخفق فى الورى أصداؤه
فيه من الأقدار وهلة غيبها ... خبّأته عن لمع الحجا أطواؤه
ومن الكتائب أرزمت [(١)] أسلاتها ... صخبٌ يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن المواكب هولها فى فيلقٍ ... نشوانُ فى يوم الفخار لواؤه
ومن الجنان الفيح همس ظلالها ... سكبته فى اذن الربيع سماؤه
رجزٌ بأرغول الزّمان .. شدا به ... ـ لمّا خطرتَ ـ صباحه ومساؤه
حتّى إذا دوّى بيومكَ هاتفٌ ... أسنى [(٢)] اللّيالى بالمنى بشراؤهُ
وانهلّ من جنبات عرشك سيكبٌ ... طهرٌ يموجُ على الحمى لألاؤهُ
وأذعت من حجرات ملكك فى الضّحى ... قسماً أعزّ النّيلَ منكَ ولاؤهُ
قصفَ المغنّى عودهُ! ومضى الصّدى ... خجلانَ ينتهبُ الأثيرَ حياؤهُ
يُصغى، ويُرغِنُ [(٣)] خاشعاً ويكادُ من ... ندمٍ تردُّ له اللّحونَ جواؤهُ
أنشودةُ «الفاروق» هلّل شدوُها ... ماذا سيُنشدُ بعدها شُعراؤهُ!
هى فى فم الدّنيا حديثٌ خالدٌ ... حدرته من شفة الغيوب سماؤهُ
الله طهّرهُ وسلسلَ نبرَهُ ... جاماً يُعلُّ بقُدسه ندماؤهُ
أورادُ نُسّاكٍ، وجرسُ مآذنٍ ... تكبيرُها عمرَ القلوبَ دُعاؤهُ
وحفيفُ أدعيةٍ، وهمسُ ملائكٍ ... بالغيب يُلهمُ وحيَه رسلاؤهُ

---

(١) صاتت واصطخب صدى قعقعتها.
(٢) بعث فيها السنا والنور.
(٣) ينصت بخشوع.

دَعْنِى مِنَ الأَشْعار مَهْمَا سُقْتُهَا إعجازَ جِنٍّ زَمْزَمَتْ أفناؤه (١)
مَن كَانَ هَذا الطهرُ فيضَ لِسَانِهِ فالشعرُ فيه أعاجِمٌ امراؤه !

***

أوْ فى على الشطِّ الظليلِ بزنبقٍ خَضِلِ النسائمِ بَرَّةٍ أفياؤه
يَنساب كالإيمان وَيُمْعِ سِتْره نورٌ يشفُّ سنَا العيون بَهاؤه
مُتَخَشِّعٌ ! للهِ فى نَظَراتِهِ تَسْبيح صَمْتٍ زَانه إغضاؤه
وَلِصَوْلَةِ التِّيجَانِ فى قَسَماتِهِ مَعْنًى يفسِّر كنهَهَ إيماؤه
مَلِكٌ أهَلَّ على الحِمَىِ فارْتَجَّ مِنْ طَرَبٍ ، وَكِبْرٍ ـ رَوْعَةً ـ أحْيَاؤه
شَقَّ الضُّحَى بِرِكَابِهِ فكأنَّه (رَمْسِيس) تَزْأرُ فى الضُّحَى هَيْجَاؤه
بِمِرَامِ قَسْطَلَةٍ (٢) ، وَضَجَّةِ فاتِحٍ أذْكَى حَمَاسَ الهالِكِينَ لقاؤه
وكأنَّما فرسان (طِيبة) جَلْجَلَتْ فى ساحِهِمْ مِنْ فَرْحَةٍ أبْنَاؤه
فتقلَّدوا أرْمَاحَهُمْ وَقِسِيَّهُمْ وَمَضَوْا لِيَوْمٍ أرْجَفَتْ غَبْرَاؤه
شَقُّوا غُبَارَ الدَّهْرِ مِنْ أرْمَاسِهِمْ وَسِبِتْهُمُ ـ فتخطَّروا ـ خُيَلاؤه
شَدَهَتْهُمُ تلكَ الخَمَائِلُ ، وَالظُّبَى غُرُّ السِّلاحِ على الأكُفِّ وِضَاؤه
نَشْوَى عَلَى الأجْيَادِ طَرِبَ سَمْعُهَا قَصْفُ المَدَافِعِ زُلْزِلَتْ أرْجَاؤهُ
وَشَدَا لَهَا فِى الجَوِّ لَحْنًا صَاخِبًا فَلَكٌ مِن الفُولاذِ ضَجَّ فنَاؤهُ
سِرْبُ النسور السَّابِحَات ،خِضَمُّهَا ذَرُّ الأثيرِ تَغَلْغَلَتْ مِينَاؤهُ . . .
نَظَرُوا إلى تِلْكَ المَوَاكِبِ جَيَّشَتْ حَشْدًا مِنَ الأرْوَاحِ ضَاقَ خلاؤه

---

(١) جمع فنء بفتح فسكون وهو الجماعة من الجن
(٢) صهيل الخيول فى الحرب .

أُمَمٌ ! وَأَجْيَالٌ ! وَدُنْيَا ! .. كُلُّهَا رَصَدٌ لِسَارٍ لاَ يُمَلُّ رُوَاؤه
سَدِكَتْ بِهِ الأَبْصَارُ حَتَّى لَوْ ثَنَتْ إِنْسَانَهَا لاَرْتَدَّ فيه عَمَاؤُهُ
وَلو أَنَّ أَفْوَاه الخلائق هادَنَتْ خفقَ اللِّسَانِ لِمَارَ فيه هُذاؤه
وَرَأَوْا بيَارقَ رَفْرَفَتْ مَخْضُوبَةً بِدَمِ الْفَخَارِ زَهَا بِهِ شُهَدَاؤه
خِيلَتْ كِتَابَ المَجْدِ نُشِّرَ لِلْوَرَى رقَمَتْ هِلاَلاً مشرقاً طغراؤه
فَتَسَاءلوا : مَا النِّيل ؟ مَا أَفْرَاحه ؟ مَا يَوْمه ؟ هل كشفَتْ برحَاؤه
سِتِّين عاماً فى القيود مصفَّداً يَجْرِى وَيصرخُ فى الشطوط ظِماؤه
هَيَّا إلَى كهَّانِ (مَنْفَ) لَعَلَّهُمْ كشفوا الذى أَعْيَا العقولَ خَفَاؤه
وإذا بِـ(خوفو) فَضَّ أَخْتَامَ البِلَى وَالسِّرَّ لَمْ يَعْثر بِهِ حكمَاؤه :
هذا هو الملِك الذى بيمينه وَجبينهِ أملُ الحِمَى وَرجاؤه
عَرْشٌ يحاكُ الْفَجْر مِنْ هالاتِهِ فَيَرُوح يَنْتَضِح السَّنَا إمْسَاؤه
لا الْمُلْكَ في أَبْرَاجِ (تدمرُ)حازَه يوْماً ، ولا حَظِيَت به زَهْرَاؤه
الشَّرْقُ ، والوادى الأَبِىُّ ، وَشَعبه وَالنِّيل ، وَالهَرَمُ العتيد ، .. فداؤه
حضَنَ الحنيفةَ فى حِمَاه وَصانها أقسَمتُ يا (قرآن) منك ضياؤه

* * *

خَشَعَ الحَمام عَلَى وَشَائع خزه يَا قدسَ مَن خَشَعت له وَرقاؤه
أَوذَى(سليمانٌ)[1] فَصَارَ بغامه[2] نَوحاً ! وَجئتَ فَلَذَّ فيكَ غِناؤه
من عَهدهِ هَجَرَ انعِشاش مشرَّداً حتى رآكَ فأُسبغت نَعماؤه

(١) سيدنا سليمان وقد كانت الطيور تخشع له وتأتمر بأمره .
(٢) بغام الحمام أى صوته الناعم الرخيم .

حَرَمٌ عَلَى « عابدين »[1] قُدْسٌ جَوُّه وَعَلَى خطَاكَ تَخَشَّعَتْ أَبهاؤه
للطير آنائه يُحَرَّمُ صيدُهُ فيها ، وطيرُكَ خلّدتْ آناؤهُ
لمّا رأى قدسَ النبيِّ وطهرَهُ فى وجهكَ الميمونِ طاب ثَواؤهُ
فجثا وكبّر فى ذراك مُرَنِّماً : ملكُ الورى .. والطيرُ عزَّ علاؤه !

* * *

مولاى ! إن تَرَنُّمِى سِحْرُ النهى فاطْرب ! فمنكَ خياله وَبهاؤه
ياليتنى مثلُ الحمام بظلِّكم صدّاحٍ من حرمِ الخلودِ هواؤه
حتى أرقرقَ فى النَّعيمِ ملاحنى وأذيعَ إعجازًا خبت أصداؤه !

محمود حسن اسماعيل

---

(١) إشارة إلى أسراب الحمام التى تعيش على أسوار قصر (عابدين) وفى ذرا أبراجه أليفة آمنة .

يوم فاروق العظيم

بقلم عبد الله عبد الجليل
المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية

لمن الثغور بواسما وشوارقا ولمن قلوب الشعب باتت خفقا
ولمن تزينت البلاد بأسرها وبنورها الحو الرحيب تألقا
ولمن يموج الخلق فى ساحاتها كل يجد لأن يكون الأسبقا
ولمن كسا الناس المنازل واعتلوا شم القصور وكل صعب المرتقى
كتل من البشر ازدحمن وكلها بشهود عاهله العظيم تعلقا
فاروق من ملك القلوب رضية متبوئا منها المكان الأرفقا
ملك تيمنت البلاد بعهده نالت مناها والزمان تومقا
عم السلام بحكمه الوادى كما أضحت حياة الشعب خيراً أدفقا
كم يابس وصلت إليه نفحة من فيض فاروق فأصبح مورقا
سمح إذا قاس السحاب بجوده فرد فقد طلب العقوق[1] الأبلقا
شغف بحب الشعب يبنى مجده[2] من مجده لينال مجداً أسمقا

---

(١) طلب العقوق الأبلق أى طلب ما لا يمكن
(٢) إشارة إلى ما جاء بالبيان الأول لجلالة الملك من قوله حفظه الله :
« اعتقد أن مجد الملك من مجد شعبه »

أرسلتها مثلا لشعبك سائراً   وهو الذى أولاك حباً أصدقا
خلق تخيله الزمان فمد طلعـــت محلقاً   كان الخيال محققا
لو رام ملك أن يدانيه علاً   وسمو منزلة لـكان المخفقا
وإذا أراد الله توفيق امرئ   ألفيت منـه معجباً ومشوقا
أحبب بمقدمك السعيد ومرحبا   بك فى سماء العدل نجما مشرقا
فى الحل والترحال ترفع عالياً   رأس البلاد مغرّبا ومشرّقا
يا خير ذكرٍ للعظيم أبيكمُ   من قاد مصر إلى الكمال مُوَفقا
يا قادراً لحقوق دينك قدرها   كل الأمانى فيك عدن حقائقا
عش دائماً متفرداً بالمجد لا   يبغى الزمان لمجدكم أن يلحقا
وليسلم الشعب المحب لذاتكم   أبداً وفياً هاتفاً ومصفقا

عبد الله عبد الجليل

نشـــيد الملك

للشاعر الأديب محمد يوسف المحجوب
المدرس بمدرسة محمد على الملكية الأميرية للبنات

فاروق فاروق يا منـــــارَ الفَلَكِ
فاروق فاروق أنْتَ أَسْمَى مَلِكِ

* * *

طالعَتْ مِصْرُ بكَ العهْدَ السعيدْ وبنَتْ فى ظلِّكَ المجـــدَ العَتِيدْ
ومضَتْ تصعَدُ فى أَوْجِ الخلودْ يزدهِيها منكَ موهوبٌ « رشيدْ »

* * *

فاروق فاروق يا منـــــار الفلك
فاروق فاروق أنت أسمى ملك

* * *

تاجُكَ الوَضَّاء فخْرُ الأَعْصُرِ صِيـغَ مِنْ أهْرامِنا والـكوثرِ
صِيـغَ مِنْ شعبٍ نبيلِ العنصُرِ أيْنَ مِنْ هاتِيكَ مُلْكُ القيصرِ ؟

* * *

فاروق فاروق يا منـــــار الفلك
فاروق فاروق أنت أسمى ملك

* * *

صاغَكَ الرحمنُ مِنْ نُورِ « الفؤادْ » كوكباً يسطعُ فى أُفْقِ البـلادْ

يَوْمَ وُلِّيتَ وأُعْطِيتَ القِيادْ   رفرفَ السعدُ على هَامِ العبادْ

✡ ✡ ✡

فاروق   فاروق   يا منـــار الفلك
فاروق   فاروق   أنت أسمى ملك

✡ ✡ ✡

يا لَيَوْمٍ كان عُنوانَ السَّلَامْ   شاركتْنَا فيه أسرابُ الحَمَامْ
أرْسَلَتْ أُخْتَاً من البيتِ الحرامْ   تتهادَى فى حِمى رَاعي الذِّمامْ

✡ ✡ ✡

فاروق   فاروق   يا منـــار الفلك
فاروق   فاروق   أنت أسمى ملك

✡ ✡ ✡

يامليكا ، عهدُهُ عهدُ الصفاءْ   ياعظيماً ،عصرُهُ عصرُ الرخاءْ
نحن بايعنَا وأصفينَا الوَلَاءْ   بقلوبٍ هى للعرشِ الفِداءْ

✡ ✡ ✡

فاروق   فاروق   يا منـــار الفلك
فاروق   فاروق   أنت أسمى ملك

✡ ✡ ✡

عِشْ لِوَادى النيل وَضَّاءَ السَّنَى   ناشراً فى جوه حُـلْوَ المُنى
واستمِعْ للشعبِ يشدُو مُعْلِنا :   عاشَ ربُّ التاجِ موفورَ الهنا

محمد يوسف المحجوب

أثر علم الكلام الإسلامى فى الأدب

بقلم محمد موسى عفيفى
المدرس الأول بالإبراهيمية

عالجنا فى مقالنا بالعدد الأول من السنة الرابعة أثر علم الكلام فى الأدب؛ وليكون البحث ذا قيمة تطبيقية نذكر هنا شذورا من نثر المتكلمين ونظمهم. سواء من غلب عليهم الأدب، ومن غلب عليهم الكلام والفقه.

النثر :

(١) النثر الأدبى : — الخطب والأحاديث والرسائل والمناظرات.

من خطبة لأبى سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى، إمام أهل الرأى والعلم فى عصره. وأستاذ واصل بن عطاء رأس المعتزلة وشيخهم. قال فى يوم فطر، وقد رأى الناس وهيئاتهم :

« إن الله تبارك وتعالى جعل رمضانَ مضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فَسبقَ أقوام ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعَجَبُ من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون، ويخسرُ المبطلون، أما والله أن لو كشف الغطاء لشُغِلَ محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته عن ترجيل شَعَر وتجديد ثوب [١] ».

ولأبى حذيفة واصل بن عطاء شيخ المعتزلة، المتوفى سنة ١٣١ ﻫ من خطبته المنزوعة الراء، التى خطبها أمام والى العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز سنة ١٢٦ ﻫ :

« الحمد لله القديم بلا غاية، والباقى بلا نهاية، الذى علا فى دنوه، ودنا فى

---

(١) جمهرة خطب العرب للأستاذ صفوت ج ٢ ص ٤٧١ وتوفى الحسن البصرى سنة ١١٠ ﻫ.

عُلوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا، وعدّله اصطناعا، فأحسن كل شىء خَلَقه وتمّمَ مشيئته. وأوضح حكمته. فدلّ على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شىء لعظمته، وذلّ كل شىء لسلطانه، ووسعَ كل شىء فضله، لا يعزبُ عنه مثقال حبة وهو السميع العليم (١).

ولأبى عثمان عمرو بن عبيد الزاهد. صاحب واصل وتلميذ الحسن البصرى أيضا، المتوفى سنة ١٤٤ من عظة قالها للمنصور: «أراك قد وطدت له الأمور، (يعنى المهدى) وهى تصير إليه وأنت عنه مسئولٌ» ثم استرسل فى وعظ المنصور بطلبٍ منه، فقال: «إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منها ببعضها، وإن هذا الذى فى يديك لو بقى فى يد غيرك لم يصل إليك. فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده. وأنشد:

يأيهذا الذى قد غره الأمل ودون ما يأمل التنغيصُ والأجلُ
ألا ترى. إنما الدنيا وزينتها كمنزل الركب. حلوا ثمت ارتحلوا
والنفس هاربة، والموت يرصدها وكل عثرةِ رجلٍ عندها زللُ
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه والقبر وارث ما يسعى له الرجلُ
كأنه للمنايا والردى غرض تظل فيه بنات الدهر تنتصلُ» (٢)

ولأبى الهذيل العلاف المتكلم المعتزلى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ شيخ النظام، فى معنى العشق. وكان قد اجتمع هو وجماعة عند يحيى بن خالد البرمكى. فسألهم عن معنى العشق: «أيها الوزير: العشق يختم على النواظر. ويطبع على الأفئدة، مرتعه فى الأجسام، ومشرعه فى الأكباد، وصاحبه متصرف الظنون،

---

(١) جمهرة خطب العرب ص ٤٨٢، وقد استطاع واصل أن ينزع الراء من خطبته هذه على طولها للثغة كانت فيه، ففضلها عبدالله على خطب شبيب بن شيبه، وخالد بن صفوان، والفضل بن عيسى وكانوا معه.

(٢) المسعودى هامش نفح الطيب جـ ٣ ص ١٤٩، ١٥٠.

متفنن الأوهام. لا يصفو له مرجوٌ. ولا يسلمُ له مدعو. تسرع إليه النوائب؛ وهو جرعة من نقيع الموت، غير أنه من أريحية تكون فى الطبع، وطلاوة توجد فى الشمائل، وصاحبه جواد لا يصغى إلى داعية المنع، ولا يصيخ لنازع العذل (١).

ولإبراهيم بن سيار النظام، المتكلم المعتزلى، تلميذ أبى الهذيل العلاف السابق الذكر: والمتوفى سنة ٢٢١ هـ، «العلم شىء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. فإذا أعطيته كلك. فأنت من إعطائه لك بعضا على خطر» وله: «مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام. فالشىء يصير إلى شبهه» وله: «إذا كان فى جيرانك جنازة. وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة. فإن المصيبة عندك أكثر منها عند القوم، وبيتك أولى بالمأتم» (٢)

وللقاضى أحمد بن أبى دؤاد، المتكلم المعتزلى المتوفى سنة ٢٤١ هـ، الذى خلط عملا صالحاً من مروءاته وعلو همته، بآخر سىء من حمله المعتصم على تعذيب من عذبهم، من أهل الحديث والفقه، وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل. طيب الله ثراه! «ثلاثة ينبغى أن يبجلوا وتعرف أقدارهم: العلماء، وولاة العدل، والإخوان، فمن استخف بالعلماء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أهلك مروءته» وله: «ليس بكامل من لم يحمل وليه على منبر ولو أنه حارس. وعدوه على جذع ولو أنه وزير» وله يخاطب الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وكانت بينهما وحشة: «والله ما أجيئك متكثراً بك من قلة. ولا متعززاً بك من ذلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك (٣)».

وللقاضى أبى محمد يحى بن أكثم الشافعى، المتكلم السنى، المتوفى سنة ٢٤٣ هـ من كلام له فى مدح المأمون. وقد طلب إليه أن يصف له حاله عند الناس:

(١) ابن خلكان جزء ثان ص ٧٢٦.
(٢) سرح العيون لابن نباتة هامش الغيث المسجم جزء أول ص ٢٤٧.
(٣) ابن خلكان ج ١ من ص ٣٨ إلى ٤٥.

« يا أمير المؤمنين قد انقادت لك الأمور بأزمتها ، وملكتك الأمة فضول أعنتها ، بالرغبة إليك ، والمحبة لك ، والرفق منك ، والعياذ بك ، بعدلك فيهم ، ومنّك عليهم ، حتى لقد أنسيتَهم سلفك، وآيستهم من خلفك ، فالحمد لله الذى جمعنا بك بعد التقاطع ، ورفعنا فى دولتك بعد التواضع ، فقال المأمون : يا يحيى ، أتحبيرا أم ارتجالا ؟ فقال القاضى : وهل يمتنع فيك وصف ، أو يتعذر على مادحك قول ، أو يفحم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب[1] ؟ » .

ولأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، أحد شيوخ المعتزلة ، وإمام أهل الأدب ، وصاحب أكبر ركن من أركانه « البيان والتبيين » وصاحب « الحيوان » المتوفى سنة ٢٥٥ هـ : « يجب للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير ، وشجاعاً لا يبلغ الهوَج ، ومحترساً لا يبلغ الجبن وماضياً لا يبلغ القحة ، وقوالا لا يبلغ الهذر ، وصمُوتاً لا يبلغ العِىّ ، وحليما لا يبلغ الذلّ ، ومنتصراً لا يبلغ الظلم ، ووقوراً لا يبلغ البلادة ، ونافذاً لا يبلغ الطيش » وله : « تسعة موجودة فى تسعة : الخِفة فى الصُم ، والهوَج فى الطوال ، والعُجْبُ فى القصار ، والنُبْلُ فى الربعةِ ، والملاحة فى الحُول ، والذكاء فى الخرْسِ ، والحفظ فى العميان ، والثقل فى العور ، والنشاط فى العُرْج » .

ومن طرفه ما حدث عن نفسه قال : ما أخجلنى إلا امرأتان . . . فأما الأخرى فإنها أتتنى وأنا على باب دارى فقالت : لى إليك حاجة ، وأريد أن تمشى معى . فقمت معها إلى أن أتت بى إلى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا ! ! وانصرفت ، فسألت الصائغ عن قولها فقال : إنها أتت إلى بفصّ ، وأمرتنى أن أرسم عليه صورة شيطان ! فقلت لها : ما رأيت الشيطان ! ! فأتت بك ، وقالت ما سمعت !

ومن المناظرات ما اتفق للقاضى أحمد بن أبى داود وشيخ أوتىَ به مقيداً إلى مجلس الواثق ، فقال ابن أبى داود : يا شيخ ، ما تقول فى القرآن أمخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفنى المسألة ، أنا أسألك قبل الجواب . هذا الذى تقوله

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٤٠ وابن خلكان ج ٣ صفحة ١٧٥ وما بعدها .

يا بن أبي داود ِمن خلق القرآن ، شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أو جهلوه ؟ فقال القاضى : بل علموه. فقال الشيخ : فهل دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت أو سكتوا ؟ فقال القاضى : بل سكتوا . قال الشيخ : فهلا وسعك ماوسعهم من السكوت؟ فسكت ابن أبي داود، وأعجب الواثقَ كلامُ الشيخ . وأطلقه ، ونهض من مجلسه ، وهو يقول : «هلا وسعك ما وسعهم ؟» يكررها (١)

ومن المناظرات ماكان بين أبى الحسين الأشعرى ، إمام أهل السنة والجماعة ، وشيخه أبى على الجبائى ، فقد سأل أبو الحسن أستاذه ، عن ثلاثة أخوة : أحدهم كان مؤمنا براً تقياً ، والثانى كان كافراً فاسقاً شقياً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف هم ؟ »

فقال الجبائى : « أما الزاهد ففى الدرجات ، وأما الكافر ففى الدركات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة »

فقال الأشعرى : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد ، هل يؤذن له ؟ »

فقال الجبائى : لا ؛ لأنه يقال له : إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة ، وليس لك تلك الطاعات »

قال أبو الحسن : « فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس منى ، فإنك ما أبقيتنى ، ولا أقدرتنى على الطاعة »

قال الجبائى : « يقول البارى جل وعلا : كيف أعلم أنك لو بقيت لقضيت ، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم ، فراعيت مصلحتك ! »

قال الأشعرى : « فلو قال الأخ الكافر ياإله العالمين ، كما علمت حاله فقد علمت حالى ، فلم راعيت مصلحته دونى ؟ »

فقال الجبائى — وقد انقطع للأشعرى — : « إنك لمجنون » (٢)

وهذه المناظرة دلت على أن الله تعالى خص من شاء برحمته . وخص من شاء

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ج ١ ص ٢١٦ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧ .

بعذابه ، وأن أفعاله تثير معلله بشيء من الأغراض .

ومن رسائل المتكلمين ما كتبه أبو قاسم جار الله الزمخشري المعتزلي ، صاحب الكشاف ، المتوفى سنة ٥٣٨ من مكة إلى أحمد بن محمد السكفي من علماء الإسكندرية وعصر الزمخشري ، وكان السكفي قد كتب إليه عامين متواليين مع الحُجاج يستجيزه رواية مصنفاته ومن الرسالة — وهي طويلة — : ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السُّها مع مصابيح السماء ، والجهام الصُّفر من الرِّهام ، مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام ، والسكيت المخلف مع خيل السباق ، والبغاث مع الطير الصفاق والعلم مدينة أحد بابيها الدراية ، والثاني الرواية ، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الأسفار ، لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا إلى أعلام مشاهير ، وأما الدراية فثمر لا يبلغ أفواهاً ، وبَرضٌ لا يَبلُّ شفاها ، ولا يغرنكم قول فلان وفلان — وعد من مدحوه — فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّه ، وجهل بالباطن المشوّه ، ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين » (١)

(ب) النثر العلمي :

ونعني بذلك أساليب المتكلمين في مؤلفاتهم ، سواء في الكلام أو الأدب أو غيرهما من العلوم والفنون ، التي وضعوا فيها الكتب :

فمن ذلك قول الجاحظ في « باب النحل » صفحة ١١٦ من كتاب « الحيوان » جزء خامس : زعم صاحب المنطق أن خلية من خلايا النحل فيما سلف من الزمان اعتلت ، ومرض ما كان فيها من النحل ، وجاء نحل من خلية أخرى يقاتل هذا النحل حتى أخرجت العسل ، فأقبل القيم على الخلايا يقاتل ذلك النحل

(١) السها : كوكب خفي . الجهام : السحاب لا ماء فيه . الرهام : جمع رهمة ، المطر الضعيف الدائم . السكيت : بضم السين وشد الكاف مع الفتح أو بالتخفيف ، آخر خيل الحلبة . البغاث : مثلث الباء طائر ضعيف وجمعه بغثان . البرض : القليل .

الذى جاء إلى غير خليته ! قال : تخرج النحل من الخلية يقاتل النحل الغريب ، والرجل بينهما يطرد الغريب ، فلم تلسعه نحلة الخلية التى هو حافظها ؛ لدفعه المكروه عنها ، قال : والنحل تجتمع فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعمل الشمع ، وبعضها يعمل العسل ، وبعضها يعمل البيوت ، وبعضها يسقى الماء ، ويصبه فى الثقب ، ويلطخه بالعسل ، ومنه مايبكر إلى العمل ، ومن النحل ما يكف حتى إذا نهضت واحدة طارت كلها ! يقال يكر بكور اليعسوب يريد أمير النحل الخ .

ومن ذلك قول أبى الفضل محمد فخر الدين الرازى ، المتكلم السنى ، فى كتابه « التفسير الكبير » « الكتاب الأول فى العلوم المستنبطة من قوله : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » « المسألة الحادية والأربعون ، فى الحكمة فى وضع الألفاظ للمعانى » « وهى أن الإنسان خلق بحيث لا يستقل بتحصيل جميع مهماته . فاحتاج إلى أن يعرّف غيره مافى ضميره ؛ ليمكنه التوسل به إلى الاستعانة بالغير ، ولا بد لذلك التعريف من طريق . والطرق كثيرة مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد ، والحركة بسائر الأعضاء . إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف مافى القلوب والضمائر بهذه الألفاظ . ويدل عليه وجوه :

أحدها أن النفس عند الإخراج سبب لحدوث الصوت ، والأصوات عند تقطيعها أسباب لحدوث الحروف المختلفة ، وهذه المعانى تحصل من غير كلفة ومعونة ، بخلاف الكتابة والإشارة وغيرهما »

ومن النثر العلمى أيضا قول الإمام أبى بكر الباقلانى فى كتابه « إعجاز القرآن » صفحة ١١٩ وما بعدها : « فصل فيما يتعلق به الإعجاز » « إن قال قائل : بينوا لنا ما الذى وقع التحدى فيه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك ؟ قيل : الذى تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف - التى هى نظم القرآن - منظومة كنظمها ، متتابعة كتتابعها ، مطردة كاطرادها ، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم ، الذى لا مثل له ، وإن كان كذلك فالتحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة ، التى هى عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها ، وهى حكاية لكلامه ، ودلالات عليه وأمارات له .

ومن هذا النوع من النثر قول الإمام أبى حامد الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » صفحة ٩٣ وما بعدها، وهو يقسم علوم الفلاسفة: « وأما علم الطبيعيات فهو بحث عن عالم السموات، وما تحتها من الأجسام المفردة : كالماء والهواء والتراب والنار ، ومن الأجسام المركبة : كالحيوان والنبات والمعادن . وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها . وذلك يضاهى بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة ، وأسباب استحالة مزاجها . وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب ، فليس من شرطه أيضا إنكار ذلك العلم ، إلا فى مسائل معينة ، ذكرتها فى كتاب « تهافت الفلاسفة » . وما عداها مما يجب المخالفة فيها ، فعند التأمل يتبين أنها مندرجة تحتها ، وأصل جملتها أن تعلم أن الطبيعة المسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هى مستعملة من جهة فاطرها ، والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره ، لا فعل لشىء منها بذاته عن ذاته » .

النظم :

أولا : — كان بشار بن برد الأعمى من أولياء واصل بن عطاء ، والآخذين عليه ، ثم انقلب وهجا واصلا فأوجع ، فانبرى له رجال من شيعة واصل منهم صفوان الأنصارى ، وله فى صفحتى ١٤ . ١٥ من البيان والتبيين جزء أول قصيدة طويلة فى الرد على بشار ، وبيان حقيقة مذهب المعتزلة ، ومدح واصل ، وما قام به هو وأولياؤه من خدمة الدين ، وما كان لهم من بيان وفصاحة قال منها :

متى كان غزال له يابن حوشب ... غلام كعمرو أو كعيسى بن حاظر (١)
أما كان عثمان الطويل ابن خالد ... أو القزم حفص شهبة للمخاطر (٢)
له خلف شعب الصين فى كل ثغرة ... إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم ... تهكم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال مرّوا فى الشقاء تطاوعوا ... وإن كان صيفاً لم يخف شهر ناجر (٣)

(١) الحوشب : العجل والثعلب ، وعمرو هو ابن عبيد الزاهد وكان من أولياء واصل أولا ، وعيسى أحد أتباع واصل

(٢) عثمان الطويل وحفص بن سالم من المعتزله أتباع واصل

(٣) كل شهر شديد الحر .

بهجرةِ أوطان وبذل وكلفةٍ وشدة أخطار وكدِّ المسافرِ
فأنجح مسعاهم، وأثقب زندهم وأورى بفلج للمخاصِم قاهرِ
وما كان سحبانٌ يشقُّ غبارَهُمْ ولا الشدقُ من حيّ هلال بن عامر
تلقب بالغزّال واحد عصره فمن لليتامى والقبيل المكاثرِ
ومن لحرورى وآخر رافض وآخر مُرْجيءٍ وآخر حائرِ (١)
وأمر بمعروف، وإنكار منكر وتحصين دين الله من كل كافرِ
يصيبون فصل القول فى كل منطق كما طبقت فى العظم مُدْيَةُ جازرِ
تراهم كأن الطير فوق رءوسهم على عمة معروفة فى المعاشرِ
وسيماهمُ معروفة فى وجوههم وفى المشى حجاجاً وفوق الأباشرِ
وفى ركعة تأتى على الليل كله وظاهر قول فى مثال الضمائرِ
وفى قص هداب، وإحفاء شارب وكور على شيب يضيء لناظرِ (٢)

وفى بشار يقول صفوان من قصيدة ـ صفحتا ١٦ و ١٧ من الكتاب عينه ـ:

فيابن حليف الطين واللؤم والعمى وأبعد خلق الله من طرُق الرشدِ (٣)
أتهجو أبا بكر وتخلع بَعْدَه علياً وتعزو كل ذاك إلى بردِ
كأنك غضبان على الدين كله وطالبُ ذحل لا يبيت على حقدِ (٤)
رجعت إلى الأمصار من بعد واصل وكنت شريداً فى التَّهائم والنجدِ
تواثبُ أقماراً وأنت مشوَّه وأقرب خلق الله من شبهِ القردِ

والقصيدة طويلة فارجع إليها فى البيان.

ثانيا: — وقال بشار لما كان من أولياء واصل يشير إلى قوة بيانه، وإلى خطبته التى نزع منها الراء.

تكلفوا القولَ والأقوام قد حفلوا وحبَّروا خطباً ناهيك من خطبِ
فقام مرتجلا تغلى بداهتهُ كمرجلِ القينِ لما حُفَّ باللهبِ

---

(١) الحرورى: الخارجى، والرافض من الرافضة وهم فرقة من الشيعة، والمرجى من المرجئة وهم الذين يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية.

(٢) الهداب: طرف الثوب. إحفاء الشارب: الاستقصاء فى أخذه. الكور: لوث العمامة. (٣) كان برد أبو بشار صانع جرار. (٤) الذحل: الثأر.

وجانب الراء لم يشعُرْ به أحد قبل التصفح والإغراق فى الطلبِ

ثالثا : — ولإبراهيم النظام :

يا تاركى جسَداً بغير فؤاد أسرَفْتَ فى الهجران والإبعادِ
إن كان يمنعك الزيارة أعين فادحل إلىَّ بعلةِ العوّادِ

وله :

أريد الفراق وأشتاقكم كأنا افترقنا ولم نفترقِ
وأستغنم الوصل كىْ أشتفى وهل يشتفى أبدا من عشقْ ؟

رابعا :— وللجاحظ فى فضل العلم والعلماء :

يطيبُ العيشُ أن تلقى حكيما غذاهُ العلمُ والفهمُ المصيبُ
فيكشف عنك خيرة كل جهل وفضلُ العلم يعْرفه اللبيبُ
سقام الحِرصِ ليس له شفاء وداء الجهل ليس له طبيبُ

وله فى القاضى أحمد بن أبى دواد :

وعويص من الأمور بهيم غامض الشخص مظلم مستور
قد تسنمت ما توعر منهُ بلسان يزينهُ التحبيرُ
مثل وشى البرود هلهله النسـ ج وعند الحجَاج دُرٌ نثيرُ
حسنُ الصمتِ والمقاطع إما نصت القومُ والحديث يدُور
ثم من بعدُ لحظة تورثُ اليسـر وعرض مهذب موفورُ

وينسب له وهو مريض :

لئن قدُّمتْ قبلى رجال فطالما مشيت على رسلى فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتى صروفهُ فتبرم منقوصاً وتنقضُ مبرما

خامسا : — ولإسحاق بن إبراهيم الموصلى المغنى اللغوى المتكلم المتوفى سنة ٢٣٦هـ:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى فليس إلى ما تأمرين سبيلُ
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلا له فى العالمين خليـل
وإنى رأيت البخل يزرى بأهله فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

سادسا : — ولأبى القاسم القشيرى المتصوف المتكلم السنى :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا … وعلمت أن من الحديث دموعا

وله :

لا تدع خدمة الأكابر واعلم … أن فى خدمة الصغار صغارا

وابغ من فى يمينه لك يمن … وترى فى اليسار منه اليسارا

سابعا : — ولأبى حامد الغزالى المتكلم السنى :

حلت عقارب صدغه فى خده … قمراً فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها … فمن العجائب كيف حلت فيه

وله :

هبنى صبوت كما ترون بزعمكم … وحظيت منه بلثم خد أزهر

إنى « اعتزلت » فلا تلوموا إنه … أضحى يقابلنى بخد « أشعرى »

قال ابن خلكان صفحة ٢٤٧ جزء ثان « وهذه الأبيات الأربعة تنسبها إليه العماد الأصبهانى والله أعلم » .

ثامنا : — ولفخر الدين الرازى المتكلم السنى :

نهاية إقدام العقول عقال … وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا … وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا … سوى أن جمعنا فيه « قيل وقالوا »

وكم من جبال قد علت شرفاتها … رجال فزالوا . والجبال جبال

وكم قد رأينا من رجال ودولة … فبادوا جميعا مزعجين وزالوا

تاسعا : — وللإمام الشيخ عبد القاهر الجرجانى المتكلم السنى ، صاحب « دلائل الإعجاز » :

وما لك مطمع فى المرء إلا … إذا ما أنكر الأمر القبيحا

فأما وهو يجهل بين قبح … وبين الحسن فرقانا صحيحا

فإنك فى رجاء الخير منه … بأجواز الفلاة تكيل ريحا

وقد تركنا التمثيل بشعر بشر بن المعتمر اختصارا ، واتكالا على من كلف ترجمته من حضرات الزملاء الأدباء ، وقصيدتاه الرائيتان فى الجزء السادس من كتاب « الحيوان » للجاحظ صفحتا ٩٢ و ٩٤ فليلتمسهما من شاء .

محمد موسى عفيفى

الشـــذوذ

للأستاذ الجليل الشيخ عبد الخالق عمر
أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

وقاك الله معايبه، وجنبك سوء مغبته! أينما بحثت عنه فى كتب اللغة، لا تجد معناه إلا التفرد عن الجمهور، والخروج عليه، والمجيء بالنادّ من القول. قال فى اللسان: شذ عنه يشذ شذوذاً: انفرد عنه وندر، ثم قال: وشذّاذ الناس الذين يكونون فى القوم ليسوا فى منازلهم ولا حيهم. ثم ذكر ما يأتى: وسمى أهل النحو ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره: شاذاً. وقال فى آخر الحرف: ويقال: أشذذت يا رجل: إذا جاء بقول شاذ ناد «أى عن المألوف».

فترى مما تقدم أن الشذوذ يكاد يكون خروجاً عن إلف العادة، وابتعاداً عما تواضع عليه الناس، ونفوراً مما أقرته التقاليد.

وأقول: إن الشذوذ فى كل مظاهره مصحوب بمقت الذى يشذ، والاشمئزاز منه، وهل ترى الناس يجمعون على أمر يرونه الرأى، ثم يخرج عليهم خارج منهم فيكون محبوباً أو محترماً؟ ألا إن المقت والاشمئزاز أقل مايجازى به الشاذ.

على أن الشذوذ قد يكون مظهراً من مظاهر السخف والحمق، فيرى الشاذ أن مايفعله الحق، وغيره بمنجاة عن الصواب. وهذا الشاذ أخف من سابقه وطأة، وأهون احتمالا، فإنه يكون من الناس موضع السخرية والاستهزاء، لاموضع المقت والازدراء. على أن صاحب هذا الضرب من الشذوذ لم يأت بشيء يضر جمهوره، ويغض من قدره، وإنما جاء بما خيله إليه عقله الصغير، وصوره له شيئاً عظيما.

كنت أريد أن أطيل القول فى الشذوذ، وأذكر منه أنواعاً وأحوالا وأعرّف بنفر من الشذاذ طالما ألمت منهم، ورثيت لعقلهم، وكنت أريد أن أترك قلمى يأتى على ذكر طائفة، كان جمهورهم يطمع فى الانتفاع بهم فشذوا وبعدوا عما

أراده جمهورهم ، سعياً وراء نفع أنفسهم ، مطوحين بهذا الجمهور ، ضاربين به عرض الحائط ، غير مبالين بما يكون ، ما داموا هم كما يبتغون . قاتلهم الله أنى يؤفكون ! كنت وكنت ولكنى لا أكون ... وأقف عند هذا الحد من القول ، وإلا حسبنى الشذاذ شاذا مثلهم .

وإنما حدا بى إلى الكلام فى الشذوذ ما قرأته فى معجم الأدباء عن فريق من الأدباء ، كان يغلب عليه شيطان الشذوذ ، فيأتى بما يضحك منه الناس ، أو ينقمونه منه . ولله فى خلقه شئون . وقد مر بى من هؤلاء كثير سآتى على نبذ من شذوذهم وإليك القول :

أبو علقمة النحوى

إذا تتبعت أخبار أبى علقمة رأيتها كلها حياة شذوذ عند ما يقول ، فلن ترى فى أخباره إلا شاذ القول وغريبه ، حتى فى موضع الغزل الذى هو مدعاة الرقة فى القول . قال ياقوت :

وقال أبو أحمد بن خليفة الجمحى قال : سمعت أبى يحدث عن أبيه قال : قال أبو علقمة لغلام له : خذ من غريمنا [1] هذا كفيلا [2] ، ومن الكفيل أميناً ، ومن الأمين زعيما ، ومن الزعيم غريما ، فقال الغلام للغريم : مولاى كثير الكلام ، فمعك شىء ؟ فأرضاه وخلاه . فلما انصرف قال : يا غلام ، ما فعل غريمنا ؟ قال : سُقَع . قال : ويلك ماسقع ؟ قال بُقَع . قال : ويلك ومابقع ؟ قال استقلَع . قال : ويلك ما استقلع ؟ قال : انقلع . قال: ويلك ، لم طوات على ؟ قال : منك تعلمت .

وقال الهيثم بن عدى : ركب أبو علقمة بغلا ، فوقف على أبى عبد الرحمن القرشى ، فقال : يا أبا علقمة ، إن لبغلك هذا منظراً ، فهل مع حسن هذا المنظر من خير؟ قال : سبحان الله ! أوما بلغك خبره ؟ قال : لا . قال : خرجت عليه مرة من مصر ، فقفز بى قفزة إلى فلسطين ، والثانية إلى الأردن ، والثالثة إلى دمشق ، فقال له أبو عبد الرحمن : تقدم إلى أهلك يدفنوه معك فى قبرك ، فلعله يقفز بك الصراط .

(١) اسم يقع على الدائن والمدين ، والمراد هنا الثانى ، وجمعه غرماء ، ويقع على الخصم أيضاً .

(٢) الكفيل : من يتكفل بأداء دين المدين ، أى الضامن والمكفول له : هو الدائن .

بشر بن حجر : قال : انقطع إلى علقمة النحوى غلام يخدمه، فأراد أبو علقمة الدخول فى بعض حوائجه . فقال له : ياغلام ، أصقعت العتاريف ؟ فقال له الغلام : زقفيلم ، قال أبو علقمة : وما زقفيلم ؟ قال له : وما معنى : صقعت التعاريف ؟ قال : قلت لك : أصاحت الديوك ؟ قال : وأنا قلت لك : لم يصح منها شيء .

قال ابن المرزبان : حدثنى عبد الله بن مسلم . دخل أبو علقمة النحوى على أعيَن الطبيب ، فقال له : أمتع الله بك ، إنى أكلت من لحوم هذه الجوازل [1] فطسأت طسأة [2] فأصابنى وجع بين الوابلة[3] إلى دأية[4] العنق ، فلم يزل ينمى حتى خالط الخلب [5] وألمت له الشراسيف [6] فهل عندك دواء ؟ قال أعين : خذ حرقفاً وسلقفاً وشرقفاً ، فزهزقه وزقزقه ، واغسله بماء روث ، واشربه بماء الماء. فقال أبو علقمة : أعد (ويحك) على فأنى لم أفهم عنك ، قال له أعين : لعن الله أقلنا إفهاما لصاحبه ، ويحك ! وهل فهمت عنك شيئاً مما قلت ؟

قرأت فى كتاب النوادر الممتعة جمع ابن جنى عن محمد بن المرزبان قال : حدثنى عبد الله بن أحمد بن عبد الصمد قال : حدثنى محمد بن معاذ البصرى قال : بينا أبو علقمة النحوى يسير على بغلة إذ نظر إلى عبدين : أحدهما حبشى ، والآخر صقلى ، فإذا الحبشى قد ضرب بالصقلى الأرض ، وأدخل ركبتيه في بطنه ، وأصابعه فى عينيه ، وعض أذنيه ، وضربه بعصا كانت معه فشجه ، وأسال دمه ، فجعل الصقلى يستغيث فلا يغاث ، فقال لأبى علقمة : اشهد لى ، فقال : قدمه إلى الأمير حتى أشهد لك . فمضيا إلى الأمير ، فقال الصقلى : إن هذا ضربنى وشجنى واعتدى على . فجحد الحبشى ، فقال الصقلى : هذا يشهد لى . فنزل أبو علقمة عن بغلته، وجلس بين يدى

(١) الجوزل : فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه . والجوزل أيضا ناقة تقع هزالا ، وربما قيل للشاب جوزل والجمع جوازل. أقول وأنا رأيتها مرة الجوازى. وهى لحوم الوحش .

(٢) طسأ من باب فتح : اتخم من الشبع أو من الدسم .

(٣) طرف رأس العضد والفخذ ، أو طرف الكتف .

(٤) الدأية والدأى: فقر الكاهل والظهر .

(٥) الخلب : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع .

(٦) الشرسوف : غضروف معلق بكل ضلع ، وهو الطرف المشرف على البطن .

الأمير ، فقال له الأمير : بم تشهد يا أبا علقمة ؟ فقال: أصلح الله الأمير ! بينا أنا أسير على كودنى هذا ، إذ مررت بهذين العبدين . فرأيت هذا الأسحم قد مال على هذا الأبقع ، فمطأه على فدفد . ثم ضغطه برضفتيه فى أحشائه ، حتى ظننت أنه تدمج جوفه ، وجعل يلج بشناتره فى جحمتيه يكاد يفقؤهما ، وقبض على صنارتيه بمبرمه ، وكاد يجذهما جذا ، ثم علاه بمنسأة كانت معه ، فعفجه بها ، وهذا أثر الجريال عليه بينا . وأنت أمير عادل . فقال الأمير : والله ما أفهم مما قلت شيئا. فقال أبو علقمة : قد فهمناك إن فهمت ، وعلمناك إن علمت ، وأديت إليك ما علمت ، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية . فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام فلا يفعل ، حتى ضاق صدره . فقال للصقلى : أعطنى خنجرا ، فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستقيد[1] له من الحبشى ، فكشف الأمير رأسه ، وقال للصقلى: شجنى خمسا ، وأعفنى من شهادة هذا . والصنارتان : الأذنان بلغة حمير . الكودن : الغليظ من الدواب . مطأه : صرعه . والفدفد : الغليظ من الأرض . ورضفتاه : ركبتاه. شناتره : أصابعه . والجحمتان : العينان لغة يمانية والمنسأة : العصا . عفجه : أى ضربه بها . والجريال : الأحمر فاستعاره الدم .

على هذا النمط من الإغراب كان أبو علقمة ، وقد أتى ياقوت على شىء كثير من قوله ، اكتفيت منه بهذا القدر ، ولم يذكر شيئا عن حياته سوى أنه قال : أراه من أهل واسط .

وفى رأيى أن هذا كان خلطا منه لخبل فى عقله ؛ إذ كانت تعتريه مرة فيصرع منها ، ويغيب عن وجوده ، وهو الذى صُرع وقال القول الذى يستشهد به فى كتب البلاغة : (مالكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة ؟ افرنقعوا .)

ومن الشذاذ الذين هم على شاكلة أبى علقمة : أبو سليمان يحيى بن يعمر العدوانى ، وهو رجل من عدوان بن قيس بن عيلان من مضر ، وكان عالما بالعربية والحديث. ولقى عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس وغيرهما من الصحابة ، وروى عنه قتادة ، وكان من الفصحاء ، وكان قد ولاه يزيد بن المهلب القضاء

(١) أى يقتص له

بخراسان . فقال له يوما : هل تشرب النبيذ ؟ فقال : ماأدعه فى صباحى ومسائى ، فقال له : أنت ونبيذك ، وعزله عن القضاء . ويروى أن الحجاج بن يوسف قال له: أتجدنى ألحن ؟ فقال : الأمير أفصح من ذلك . فقال : عزمت عليك ، أتجدنى ألحن ؟ فقال يحيى : نعم. فقال له: فى أى شىء ؟ فقال : فى كتاب الله تعالى . فقال: ذلك أشنع ، ففى أى شىء من كتاب الله تعالى ؟ قال: قرأتَ « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله » فرفعت أحب وهو منصوب . فقال له الحجاج : طول لحيتك أوقعك — وكان طويل اللحية — فقال رجل ممن حضر : أيها الأمير ، حدثنى كعب الأحبار ، أنه مكتوب فى بعض الكتب ، أن اللحية مخرجها من الدماغ ، فمن تفرط عليه لحيته فى طولها يخف دماغه ، ومن خف دماغه قل عقله ، ومن قل عقله كان أحمق ، والأحمق لا يسمع منه . فقال الحجاج: لا تساكنى ببلد أنا فيه ، ونفاه إلى خراسان، وبها يزيد بن المهلب فكان عنده .

قال محمد بن سلام : أخبرنى أبى أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا وفعلنا واضطررنا إلى عرعرة[1] الجبل . فقال الحجاج : مالابن المهلب وهذا الكلام ، فقيل له : إن يحيى بن يعمر عنده ، فقال : ذاك إذن .

وكان يستعمل الغريب فى كلامه ، فمن ذلك أنه قال لرجل خاصمته امرأته :أأن سألتك ثمن شَكرها وسرك ، أنشأت تمطلها وتضلها ؟

« الشكر : الفرج ، والسر : النكاح » ويروى : وشبرك ، والشبرَ العطاء .

وخاصم رجل رجلا فى غلام فقال : باعنى غلاما أباقا ، فقال له يحيى : ألا قلت : أبوقا . ومات يحيى بن يعمر بخراسان سنة تسع وعشرين ومائة ، فى أيام مروان بن محمد .

ومن الشذاذ أيضا : عيسى بن عمر الثقفى ، وكنيته أبو سليمان ، ويقال أبو عمرو ، وكان ثقة عالما بالعربية والنحو والقراءة ، وقراءته مشهورة ، وكان فصيحا يتقعر

(١) عرعرة السنام وكل شىء : رأسه ومعظمه

فى كلامه و يعدل عن سهل الألفاظ إلى الوحشى والغريب ، فمن ذلك أنه لما ضربه يوسف بن عمر بن هبيرة فى ثياب استودعها ، قال : إن كانت إلا أُثيَّابا فى أُسَيْفَاط قبضها عشاروك ، وذلك أن بعض أصحاب خالد بن عبدالله القسرى أودعه وديعة . فلما نزع خالد بن عبدالله عن إمارة العراق ، وتقلد مكانه يوسف بن عمر ، كتب إلى واليه بالبصرة أن يحمل إليه عيسى بن عمر مقيدا . فدعا به ودعا بالحداد ، وأمره بتقييده وقال : لا بأس عليك ، إنما أراد الأمير أن تؤدب ولده قال : فما بال القيد إذن ؟ فبقيت مثلا بالبصرة . فلما أتى به يوسف بن عمر سأله عن الوديعة فأنكرها ، فأمر به فضرب بالسياط ، فلما أخذه السوط جزع ، فقال : أيها الأمير ، والله إنما كانت أثيابا فى أسيفاط قبضها عشاروك ، فرفع عنه السوط ، ووكل به من أخذ الوديعة منه .

وقال على بن محمد بن سليمان : رأيت عيسى بن عمر طول دهره يحمل فى كمه خرقة ، يحمل فيها سكر العُشَر والإجاص اليابس « العشر بضم العين وفتح الشين : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشى فى المخاد يخرج من زهره وشعبه سكر ، وفى القاموس سكره فيه مرارة ، والإجاص بكسر الهمزة وتشديد الجيم : ثمر معروف » .

وربما رأيته واقفا عندى أو سائرا أو عند ولاة أهل البصرة ، فتصيبه نهكة على فؤاده فيخفق عليه . حتى يكاد يغلب ، فيستغيث بإجاصة وسكر يلقيهما فى فمه ، ثم يمتصهما . فإذا ازدرد من ذلك شيئا سكن عليه ، فسألته عن ذلك فقال : أصابنى هذا من الضرب الذى ضربنى يوسف بن عمر ، فعالجته بكل شيء ، فلم أجد له أصلح من هذا ، وصنف كتابين فى النحو سمى أحدهما الجامع . والآخر الإكمال ، وفيهما يقول الخليل بن أحمد ـ وكان الخليل بن أحمد قد أخذ عنه ـ

ذهب النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

وتوفى سنة تسع وأربعين ومائة .

وعلى نسق هؤلاء كان سعد بن محمد بن سعد المعروف بالحيص بيص ، إلا أن هذا كان يفعل ما يفعل تعاظما وتيها ، لا خبلا وجنوناً ، فإن له شعرا ونثراً

لا إغراب فيهما وسآتى فى هذا المقال على شيء من خبره وحديثه ، مما ذكره ياقوت فى معجم الأدباء وابن خلكان فى وفيات الأعيان .

قال ياقوت : سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى ، شهاب الدين أبو الفوارس المعروف « بحيص بيص » الفقيه الأديب الشاعر ، كان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم . أخذ عنه الحافظ أبو سعد السمعانى ، وقرأ عليه ديوان شعره وديوان رسائله ، وذكره فى ذيل مدينة السلام . وأثنى عليه ، وأخذ الناس عنه علما وأدباً كثيراً . وكان لا يخاطب أحداً إلا بكلام مغرب ، وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً فى أمر شديد ، فقال : ما للناس فى حيص بيص ؟ فبقى عليه هذا اللقب .

مات ليلة الأربعاء سادس شعبان ، سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد .

ومن تقعر الحيص بيص فى كتابته ، ما حدث به بعض أصحابه : أنه نقه من مرض ، فوصف له صاحبه هبة الله البغدادى الطبيب أكل الدُرّاج ، فمضى غلامه واشترى دراجا ، واجتاز على باب أمير ، وغلمانه يلعبون . فخطف أحدهم الدراج ، فأتى الغلام الحيص بيص وأخبره الخبر ، فقال له : إيتنى بدواة وقرطاس . فأتاه بهما فكتب إلى ذلك الأمير : لو كان مبتز دراجة فتخاء[1] كاسر[2] ، وقف بها السغب بين التدويم[3] والتمطر ، فهى تعق[4] وتسف ، وكان بحيث تنقب أخفاف الإبل . لوجب الإغذاذ[5] إلى نصرته ، فكيف وهو بحبوحة كرمك ، والسلام . ثم قال لغلامه : امض بها وأحسن السفارة بإيصالها الأمير فمضى بها ودفعها للحاجب ، فدعا الأمير بكاتبه ، وناوله الرقعة فقرأها ، ثم فكر

---

(١) فتخاء . الفتخ : عرض الكف والقدم

(٢) كاسر من كسر الطير جناحيه : ضمهما يريد الوقوع

(٣) تدويم الطائر : تحليقه فى الهواء أو كطيرانه بدون أن يحرك جناحيه . والتمطر : اسراعه فى هويه

(٤) تعق : تحوم حول الشيء وترتفع ، وتسف : تمر على وجه الأرض

(٥) الإغذاذ : الإسراع

ليعبر له عن المعنى ، فقال له الأمير : ما هو ؟ فقال : مضمون الكلام : أن غلاما من غلمان الأمير . أخذ دراجا من غلامه . فقال : اشتر له قفصاً مملوءاً دراجا واحمله اليه ، ففعل .

و كتب إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شياف أبار [1] : أزكنك [2] أيها الطَّب [3] اللّبّ ، الآسى [4] النطاسى ، النفيس النقريس [5] ، أرجنت [6] عندك أم خنور [7] ، وسكعت عنك أم حَبَوْكر [8] ، أني مستاً خذ أشعر ، فى حنادرى [9] رطبا [10] ليس كاب شبوة [11] ولا كنخز المنصحة [12] ، ولا كنكز الحضب [13] بل كسفع [14] الزخيخ ، فأنا من التباشير إلى الغباشير [15] لا أعرف ابن سمير [16] من ابن جمير ، ولا أحس صفوان [17] من همام ، بل آونة أرجحن [18] شاصبا [19] ، وفينة

(١) شياف الآبار : دواء للعين .
(٢) أزكنك : أعلمك .
(٣) الطب : الحاذق فى عمله ، واللب : الملازم لعمله المقيم عليه .
(٤) النطاسى : العالم والمتطبب .
(٥) النقريس : الطبيب المدقق .
(٦) أرجنت : أقامت .
(٧) أم خنور : الدنيا .
(٨) الداهية
(٩) حنادرى جمع حندورة وهى : سواد العين .
(١٠) رطبا : دمعا .
(١١) شبوة : علم على العقرب .
(١٢) المنصحة : الابرة .
(١٣) كنكز الحضب : كلسع الحية .
(١٤) سفع الزخيخ : الاصطلاء بالجمرة .
(١٥) الغباشير : مابين السحر والمساء ، ومابين الغروب والعشاء من الضوء .
(١٦) ابنا سمير : الأجدان ، وابنا جمير : الليل والنهار ، يقول : لا أعرف الليل من النهار ، ويقال ابن سمير وابن جمير بهذا المعنى .
(١٧) يوم صفوان : بارد ، وهمام : يوم البرد الثالث .
(١٨) ارجحن : اهتز .
(١٩) عيش شاصب : شاق .

أحنبطي (١) مقلوليا (٢) ، وتارة أعرنزم (٣) ، وطورا أسلنقي (٤) ، كل ذلك مع أخ وأخ وتهم قروتي (٥) أن أرفع عقيرتي بعاط عاط (٦) إلى هياط ومياط (٧) ، وهالي أول وأهون وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار (٨) ، ولا أحيص (٩) ولا أليص (١٠) ولا أغرندي ولا أسرندي (١١) ، فبادرني بشياف الآبار ، النافع لعلتي الناقع لغلتي .

فلما قرأ أمين الدولة رقعته ، نهض لوقته ، وأخذ حفنة شياف أبار . وقال لبعض أصحابه : أوصلها إليه عاجلا ، ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية .

ومن شعره يمدح المقتفي لأمر الله :

ماذا أقول إذا الرواة ترنموا بفصيح شعري في الإمام العادل
واستحسن الفصحاء شأن قصيدة لأجل ممدوح وأفصح قائل
وترنحت أعطافهم فكأنما في كل قافية سلافة بابل
ثم انثنوا غب القريض وصنعه يتساءلون عن الندى والنائل
هب يا أمير المؤمنين بأنني قس الفصاحة ما جواب السائل ؟

ودخل ابن القطان يوما على الوزير الزينبي ، وعنده الحيص بيص فقال : قد عملت بيتين هما نسيج وحده ، وأنشد :

---

(١) احنبطي : امتلىء غيظا .
(٢) مقلوليا : قلقا متجافيا عن محلي .
(٣) أعرنزم : أتجمع وأتقبض .
(٤) أسلنقي : أنبسط على ظهري .
(٥) القروتة : النفس .
(٦) عاط عاط : زجر للذئب وللخيل وينذر بهما الرقيب أهله إذا رأى جيشا
(٧) اضطراب ومجيء وذهاب وشر وجلبة .
(٨) هذا الاسم وما تقدمه أسماء أيام الأسبوع في الجاهلية ، وقد جمعها الشاعر في قوله
أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار وإن يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار
فأوهد : الأحد ويقال له : أول ، وأهون الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار ككتاب : السبت
(٩) لا أحيص : لا أعدل ولا أحيد .
(١٠) لا أليص : لا أجبن ولا أضعف .
(١١) ولا أغرندي : لا أعلو ، ولا أسرندي : بمعناها فهي إتباع .

زار الخيال بخيلا مثل مرسله فما شفانى منه الضم والقبل
مازارنى قط إلا كى يوافينى على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص : ما تقول فى دعواه هذه ؟ فقال : إن أنشدهما ثانية سمع لهما ثالثا . فانشدهما . فقال الحيص بيص :

وما درى أن نومى حيلة نصبت لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

وحدث نصر الله بن مجلى قال : رأيت فى المنام على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطفّ ما تم ؟ فقال : أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا ، فقلت : لا ، فقال : اسمعها منه . فلما استيقظت بادرت إلى دار الحيص بيص ، فخرج إلىّ ، فذكرت له الرؤيا ، فأجهش بالبكاء ، وحلف بالله أنه ما سمعها منه أحد ، وأنه نظمها فى ليلته هذه ، ثم أنشدنى :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذى فيه ينضح

ومن شعره أيضا :

العين تبدى الذى فى قلب صاحبها من الشناءة أو حب إذا كانا
إنّ البغيض له عين تكشفه لاتستطيع لما فى القلب كتمانا
فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقد ترجم للحيص بيص فى كتاب وفيات الأعيان ، وجاء فى ترجمته ما يأتى :

ويقال إنه كان فيه تيه وتعاظم ، وكان لا يخاطب أحدا إلا بالكلام الغريب ، وكانت له حوالة بمدينة الحلة ، فتوجه إليها لاستخلاص مبلغها ، وكانت على ضامن الحلقة ، فسير غلامه إليه ، فلم يخرج إليه . وشتم أستاذه ، فشكاه إلى والى الحلة ، وهو يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبى العسكر الجاوانى ، فسير معه بعض غلمان الباب ليساعده ، فلم يقنع أبو الفوارس منه بذلك ، فكتب إليه يعاتبه — وكانت بينهما مودة متقدمة — : ما كنت أظن أن صحبة السنين ومودتها ، يكون

مقدارها فى النفوس هذا المقدار ، بل كنت أظن أن الخميس الجحفل . لو عرض لى ، لقام بنصرى من آل أبى العسكر حماة غُـلب الرقاب ، فكيف بعامل سويقة وضامن حلبة وحليقة ، ويكون جوابى فى شكواى : أن ينفذ إليه مستخدم يعاتبه، ويأخذ ماقبله من الحق ، لا والله

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وبالله أقسم ، وبنبيه وآل بيته لئن لم تقم لى حرمة ، يتحدث بها نساء الحلة فى أعراسهن ومناجاتهن ، لاأقام وليك بحاتك هذه ، ولو أمسى بالجسر والقناطر، هبنى خسرت حمر النعم ، أفأخسر أبيتى ؟ واذلاه ! واذلاه ! والسلام .

وكان يلبس زى العرب . ويتقلد سيفا ، فعمل فيه أبو القاسم بن الفضل — وذكر العماد الكاتب فى الخريدة أنها للرئيس على بن الأعرابى الموصلى ، وذكر أنه توفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة — :

كم تبادى[1] وكم تطول طرطو رك مافيك شعرة من تميم
فكل الضب واقرص الحنظل اليا بس واشرب ما شئت بول الظليم
ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ رى ولا يدفع الأذى عن حريم

فلما بلغت الأبيات أبا الفوارس المذكور عمل :

لاتضع من عظيم قدر وإن كنـ ت مشارا إليه بالتعظيم
فالشريف الكريم ينقص قدرا بالتعدى على الشريف الكريم
ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ ر بتنجيسها وبالتحريم

وعمل فيه خطيب الحويزة البحيرى :

لسنا وحقك حيص بيـ ص من الأعارب فى الصميم
ولقـــد كذبت على بحيـ ر كما كذبت على تميـــم

وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة ، وأمر شديد فقال : ماللناس فى حيص بيص ؟ فبقى عليه هذا اللقب ، ومعنى هاتين الكلمتين : الشدة والاختلاط . ويقول العرب وقع الناس فى حيص بيص : أى فى شدة واختلاط . ودفن فى الجانب الغربى فى مقابر قريش (رحمه الله تعالى) .

عبد الخالق عمر

(١) يريد التظاهر بالبداوة والتشبه بأهلها .

بين الحقيقة والخيال

بقلم الأستاذ عبد اللطيف المغربى
المفتش بوزارة المعارف

- ٢ -

صورة من النقد الأدبى

الوضع وأثره فى الأدب

وشاء ربى أن يشتد الحر حتى كظم الأنفاس أواره ، ولفحت الوجوه سمومه ، فاتخذت طريقى الى شاطىء النيل لأبترد . وأعلل النفس بهبات مختلسة من النسيم يجود بها الجو ، كلما غفت عنه عين الحر قليلا . وجلست على الشاطىء فاتر الهمة ، مجهود النفس ، شارد اللب من الحر . فلا أنا باليقظ الذى يرصد ما حوله من جمال وبهاء ، ولا بالنائم المستريح مما يكده من جهد وعناء . وأنشدت قول بشار :

ويوم كتنور الإماء سجرنه وأوقدن فيه الجزل حتى تضرما
رميت بنفسى فى أجيج سمومه وبالعيس حتى بض منخرها دما

فما راعنى إلا نبأة أحسستها من النهر ، جمعت لها قواى ، وأرهفت لها سمعى . وأشخصت بصرى نحو الماء . فإذا هو يصطفق اصطفاقا شديدا ، ويتكشف عن حوت لطيف المنظر . يدنو من الشاطىء مسرعا فى غير خوف ولا استحياء ، وكأنه سيف صقيل ، يقطع صفحة النهر المنبسطة فى استواء ، ففزعت لرؤيته ، وجمعت نفسى الشاردة ، وتعلقت بأذيال الفرار ، لا ألوى على شىء . وإذا صوت أغن رقيق النغم ينادينى من ورائى ، فذكرت أنى سمعت هذا الصوت من قبل . فقرت نفسى ، وزايلنى الفزع ، وغشيتنى السكينة . والتفت ورائى أتبين صاحب الصوت ، فعرفت فيه ـ وقد استوى بشرا سويا ـ وجه العصفور صاحبى القديم . فاقبلت إليه محييا ، فحيانى أطيب تحية ، واستقبلنى أجمل استقبال ، وبثنى شوقه إلى مجلس تتجاذب فيه أطراف الحديث . ومتع القول والفكر ، وبدهنى بقوله : لقد أعجبنى بيتا بشار وصدقهما فى وصف الحر وشدته . وهما به أشبه : حلاوة منطق ، وقوة سبك

وجزالة ألفاظ ، وقرب محاكاة للبيئة ، وقد التقت فيهما لمع من بداوة الجاهلية ، ونضرة المدنية ، مما يشعرك حقا أن بشارا كان خاتمة الشعراء الإسلاميين ، وزعماء الشعراء المحدثين .

أنا ـ كأنك تتحفظ فى نسبة الشعر والنصوص والأخبار إلى قائليها ، وتقيسها بمقاييس من روح البيان ، وطبيعة الكلام ، وخصائص البيئة ، والملابسات الصحيحة الملائمة لزمان القول ؟

العصفور . هذا حق وهو ما يجب أن يكون وسيلة لتربية ملكة مدربة على نقد الشعر والنثر والأخبار . لتمييز صادقها من كاذبها ، وصحيحها من زائفها ، ولقد كان للوضع أثر شنيع فى العلم والأدب ، فقد غمرهما بكثير من الدخيل ، الذى لا أساس له ، فاختلطت أمور ، وتشابهت حقائق ، وأقحمت نصوص وأخبار نسبت إلى غير أصحابها . والحفاظ والرواة والمؤلفون يتداولونها أحقاباً طويلة . بلا بحث ولا تمحيص ، فنجمت عن ذلك أضرار لا يقدرها حق قدرها إلا كل ذى بصر نافذ ، من أهل العلم والأدب .

أنا ـ لقد أثرت أيها الصديق معنى كان يعتلج فى صدرى من قديم ، فهل أنت ذاكر لى كلمة عن أسباب هذا الوضع فى العلم والأدب ؟

العصفور ـ يسرنى أيها الأخ الكريم أن أتحدث إليك فى هذا الموضوع الخطير ، الذى كان له عظيم الأثر فى تضخم العلم والأدب . بما ساق إليهما من زوائد وروافد ؛ فلعلك تعلم أن العرب كانوا قبائل وشعوبا ، وفيهم من يود فى مقام الفخر ومساماة غيره ، أن ينسب إلى آبائه وأجداده من المكارم والمآثر ، ما يستعين به على الوصول إلى مأربه ، ورمت الأيام الأمة العربية بالانقسام ، فكانت فرقا علوية وعثمانية ، وأموية وعباسية ، وظهرت الشعوبية قوية نشيطة لمقاومة العروبة . وكان لهذه الفرق جميعا أعوانها وأنصارها ، يؤيدون مذاهبها ، ويذيعون فضائلها ، ويكثرون من مثالب غيرها ، وظهرت الفرق الدينية من شيعة ومعتزلة وخوارج وقدرية وغيرهم .

ودخل فى هذه الفرق كثير من غير العرب ممن يحملون صورا وأوهاما من

دياناتهم القديمة ، فوضعوا فى الساحة العربية الإسلامية المطهرة بذورا جديدة لاتمت إلى سماحة الإسلام وطهره ويسره بنسب ، فامتزجت بتعاليمه وليست منه فى شىء . وقد تشعبت هذه الفرق ونمت نموا عظيما ، وتولد بعضها من بعض وغالى بعض رجال هذه الفرق فى الوضع والدس فى الأحاديث والحقائق التى نسبوها إلى الدين مما لايكاد يخطر على بال مسلم ، والواضع فى الدين أحد رجلين : رجل ساذج حسن النية وضع ماوضع وهو يرى فيه تحقيقاً لأحلامه وتصوراته ، ولا يرى فيه غضاضة على الدين ، ورجل ماكر خبيث النزعة شديد الضغن على الإسلام يريد الإفساد فيه ، والتشويه من جماله ، فينسب إليه ماليس منه مما يثير شبهة أو يحرك مطعنا .

وكان قوم من الرواة والحفاظ لهم جرأة وقدرة على الاختراع والابتكار كخلف الأحمر . وحماد الراوية ، ومن على شاكلتهما ، وهؤلاء أحبوا أن يظهروا بالتزيد فى الأدب . والوقوف على مالم يقف عليه غيرهم . وكانت الحالة الاجتماعية وانتشار مجالس الانس والسمر وشيوع الترف وميل الملوك والأمراء إلى التفكه والتنادر ، مما دعا إلى كثرة القصاص الذين أسرفوا فى الابتكار والاختراع ، وكان من وراء هذه الفوضى فى الوضع أن أصيب كثير من عظماء الأمة العربية والدولة الاسلامية بنسبة أمور إليهم تأباها المروءة والشرف العربى وجلال المكانة . ويعلم الله أنهم منها أبرياء .

أنا — إنى لشاكر لك هذه الجولة الصادقة فى بيان أسباب الوضع فهل لك أن تتكرم وتعرض علىّ بعض صور من الوضع فى الأدب وتعرض على أدلة وضعها ؟

العصفور — إن الوضع فى الأدب ياسيدى كثير جدا ، وهو أخصب نواحى الوضع وأحفلها ومن حقك على أن أسوق اليك بعض أنواع منه : —

١ — ذكر صاحب الأغانى أن الوليد بن يزيد اشتاق يوما الى معبد المغنى المعروف بالمدينة ، فبعث اليه فلما حضر أمر ببركة بين يدى مجلسه فملئت ماء ورد وقد خلط بمسك وزعفران — وفى رواية ملئت ماء وخمرا — ثم فرش

للوليد فى داخل البيت على حافة البركة ، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ، وجاء فسلم على أمير المؤمنين ، فرد عليه السلام . وقال له : أتدرى لم وجهت إليك ؟ قال الله أعلم وأمير المؤمنين ، قال : ذكرتك فأحببت أن أسمع منك ، قال معبد أؤغنى ما حضر ، أم يقترح أمير المؤمنين ؟ قال بل غنى :

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم   حتى تفانوا وريب الدهر عدّاء

فلما فرغ منه معبد حتى رفع الجوارى السجف ، وخرج الوليد فألقى بنفسه فى البركة . ثم غاص فيها ، وخرج منها ، فاستقبلته الجوارى بثياب غير الثياب الأولى ثم شرب وسقى معبدا وقال له غنى :

ياربع ما لك لاتجيب متيما   قد عاج نحوك زائرا ومسلما
جادتك كل سحابة هطالة   حتى ترى عن زهرة متبسما
لو كنت تدرى من رعاك أجبته   وبكيت من حرق عليه ـ إذاً ـ دما

فغناه ورفعت الجوارى السجف ، وخرج الوليد فألقى بنفسه فى البركة ، فغاص فيها وخرج ، ولبس ثيابا أخرى ، ثم شرب وسقى معبدا ، ثم قال له : غنى :

عَجِبتْ لمـــا رأتنى أندب الربع المحيلا
واقفا فى الواد أبكى لا أرى إلا الطلولا
كيف تبكى لأناس لا يملُّون الذميـــلا
كلما قلت اطمأنت دارهم قالوا الرحيلا

فألقى الوليد بنفسه فى البركة وشرب ، وسقى معبدا ، وقال له : من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم أسرارهم ، فقال : ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائى به . فأمر له بجائزة .

وللوضع فى هذه القصة مجال كبير ، فقد رويت على صورتين : إحداهما مختصرة قطعها الشعرية ثنتان ، والأخرى مطولة قطعها ثلاث ، واختلفت أسماء الرواة ، وتضاربت الأقوال فيما ملئت به البركة ، وهو على رواية ، خمر ممزوجة بالماء ، وأن الوليد حين كان يرمى بنفسه فى البركة يعب منها ليسكر ويطرب ، وإنا لنترفع بأمير المؤمنين الوليد بن يزيد عن مثل هذه الأعمال ، التى تفوقها أعمال الصبيان

سموا ورزانة ، ولا يقدح فى قولنا أنه كان مسرفا فى لهوه ، مستهترا ؛ لأن ذلك الإسراف إنما يكون بالقياس إلى حالة عصره . وهو فى جملته عصر صلاح واعتدال . وما الذى كان يضطر الوليد إلى هذا العبث الشائن أمام معبد ، ثم يعود يستعطفه و يوصيه بكتمان ما رأى ، وهو أمير المؤمنين له جلال مركزه ، وعيون رعيته ترقبه .

ومهما يكن من أمره فإنه لا يستطيع إهمال ما يجب أن يتحلى به من الاتزان والرجولة . ولو فى ظاهر الأمر تقديراً لموضعه من الخلافة والأمة الاسلامية القريبة العهد من عصر الخلفاء الراشدين ، ومن روح الإسلام القوية ، وسلطانه على النفوس . وإذا أجريت الأمور على نواميس التدرج والارتقاء ، وعلمنا أن مثل هذا لم يقع فى العصر العباسى ، عصر الحرية والتطرف فى اللهو والمتعة ، كان من الحتم ألا نصدق وقوع ذلك فى العصر الأموى السابق عليه . إلا إذا انقلبت الحقائق وتبدلت طبائع الأمور ، وأصبحت تبدأ كبيرة ، وتنتهى صغيرة ، وهذا ما يصدف عن قبوله العقل . وقد يكون للعداء بين الأمويين والعباسيين أثر فى صوغ هذه القصة ، وقد انفرد بروايتها أبو الفرج الأصبهانى المؤلف العباسى .

والذى نسلم به ولا يأباه العقل ورود معبد على الوليد ، وغناؤه له بأية صورة كانت ، أما هذا الشعر الذى اختلف فى إيراده الرواة ، وعلى هذه الصورة الغريبة من العبث ، فما لا نسلم به ونجزم بأنه موضوع .

٢ — وذكروا أن المأمون العباسى جلس يوما للمظالم . فدخلت عليه امرأة عليها هيئة السفر . وثيابها رثة فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتز منى ضياعى بعد منعتها ظلما وفرق منى الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد عنى وأقرح منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفى وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد
والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصفك منه ، وإلا المجلس الأحد

وأنصفها المأمون . فهل ترى بعد ذلك مثارا للدهشة ومدعاة إلى الضحك ؟ : امرأة تدخل على خليفة في مجلس المظالم ، فتنشده شعراً يصور قضيتها ، فيجيبها الخليفة بمثل قولها من الشعر لوقته — على حين أن ذلك مطلب يصعب على فحول الشعراء إن هم حاولوه في كثير من الأحيان ، وطالما منوا بالإخفاق في محاولته — وليس المقام مقام مفاكهة ومداعبة ، فذلك أولى بمسارح التمثيل ، ومواقف التندر والمجون ، لا بمجالس القضاء ، ومنازل الخلفاء .

ونعود إلى الشعر نفسه نعرضه على قوانين الفن ، ودواعي الذوق ، وروح العصر ، فنراه شعرا مسفا يضطرب ، في ركة وضعف ، وسوء تكلف ، ولا يلائم روح العصر العباسي ، ولا طلاوة القول فيه — وعجيب أن ترى في هذا الشعر الفعل مبنيا للمعلوم ، ثم ترى الفعل بعده محولا للمجهول بلا داع ولا حكمة بلاغية ، مثل « عدا عليها فلم يترك لها سبد » ومثل « وابتزمني ضياعي ، وفرق مني الأهل والولد » وما ذلك إلا أثر ضعف وعجز عن بلوغ الأكمل والأجمل من أساليب الكلام العالي ؛ وكم في قول المأمون « فرضا » « في دون ماقلت زال الصبر والجلد » من عجب . فعظيم من المأمون - رب السيف والقلم . ومدبر الدولة الإسلامية الكبرى ، التي ترجف لسلطانها قلوب الدول إذ ذاك — أن يظهر جزعه وفزعه وزوال صبره وجلده لحادث يسير كهذا ، وهو الرجل القوي الجلد ، الذي طالما خاض غمار الحروب ، وقاسى الشدائد والأهوال ، ولاقى فتنا كقطع الليل مظلمة ، فلم تعرف فيه رقة القلب ، ولا خور العزيمة ، وفي قوله « والمجلس السبت . . وإلا المجلس الأحد » ضعف وفتور .

وبعد ، ألست ترى معي أن القطعتين من طراز واحد لاتحاد خصائصهما في الضعف والتعمل ، واضطراب الأساليب ، وتعادل القوة الشعرية فيهما ، فلهذا وما سبقه لا يخامرني شك في أن هذه القصة منتحلة ، وقائل القطعتين بلا ريب واحد ، ومن العجيب أن يفوت هذا التمحيص عالما جليلا كابن عبد ربه ، الأديب العالم الظريف ، فيروي هذه القصة في عقده ، ولا يعلق عليها بكلمة واحدة يظهر بها عدم ارتياحه إلى صحتها ؛ ولكن إذا عرفت أن مؤلفينا القدماء كان همهم الجمع لتربو كتبهم ، عرفت السر في موقف ابن عبد ربه من هذه القصة .

٣ - ونعرض عليك قصة يصيح الوضع من نواحيها ؛ لأنه واضح مكشوف وهى كما رواها ابن الجوزى فى كتابه « الأذكياء » تلخص فى أن فتى كان يهوى جارية ، وكان زوجها مزمعاً سفراً بعد يوم أو يومين ، فأرسل الفتى إليها غلاما ينشدها :

لحى الله من يلحى على الحب أهله ... ومن يمنع النفس اللجوج هواها

ففهمت الجارية فقالت :

ألا إنما بين التفرق ليـــلة ... وتعطى نفوس العاشقين مناها

فسمعت أمها فقالت :

ألا إنما تعنون ناقة رحلكم ... فمن كان ذا نوق لديه رعاها

فسمع الأب فقال :

فإنا سنرعاها ونوثق قيـــدها ... ونطرد عنها الوحش حين أتاها

ففهم الزوج فقال :

سمعت الذى قلتم فهأنا مُطلِّق ... فتاتكم مهجورة لبلاها

قد نسلم أن الفتى شاعر ، فهل من الضرورى أن تكون الفتاة شاعرة أيضا؟ وهل من الحكمة والعفة أن ترفع عقيرتها ببيت من الشعر ، تظهر فيه أملها المنكر فى غير حياء ولا وجل ؟ والحياء أعز شىء تحرص عليه المرأة . ومن المصادفة العريضة المرنة أن يكون أبوها وزوجها وأمها شعراء أيضا ، وليس بمعقول أن تكون إجابة أبيها وأمها بصوت مسموع ، وببيتين من الشعر يسجلان فيهما على ابنتهما هذا العار ، فيأنف من ذلك كله الزوج ويطلق الفتاة .

وإن هذا الترتيب فى أجزاء القصة - بأن يبدأ الفتى الواله ثم الجارية فأمها فأبوها فزوجها ، وينتظر كل منهما الآخر فلا يسبقه فى القول ، ويجعل كلامه مرتبا على كلام سابق - لترتيب روائى محض ، ولماذا لم يسمع الزوج قبل الأب فيجيب ؟ أو الأب قبل الأم فيجيب ؟ ألا إن ذلك كله سلسلة مصادفات أحكمها الوضع ، ورتبها التصيد ، وفوق هذا تجد الأبيات كلها متشابهة فى قوة النسج والصناعة والمنزلة الشعرية ، فهى فى نظرى ثمرات للسان واحد مصنف .

٤ — ولقد كانوا يضعون الأبيات من الشعر للاستدلال على قاعدة نحوية — فقد قالوا إن أبا يحيى اللاحقى سأله سيبويه يوما : هل تعدّى العرب « فَعِلاً » ؟ وهو من صيغ المبالغة فوضع له البيت الآتى :

حذِرٌ أموراً لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار

ونسبه إلى العرب وأثبته سيبويه فى كتابه — وما دفع أبا يحيى إلا حبه فى الظهور بمظهر العالم الواسع الإلمام العظيم الحفظ الذى لا يفوته شىء من تراث العرب . ومن هذا الباب ما يروى : من أن حمادا الراوية والمفضل الضبى اجتمعا عند المهدى فقال للمفضل : إنى رأيت زهيراً افتتح قصيدته بقوله :

دع ذا وعد القول فى هرم خير البداة وسيد الحضر

ولم يتقدم قبل ذلك قول . فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل ماسمعت فى هذا شيئا — إلا أنى توهمته كان فى قول يقوله ، أو كان يفكر فى شىء من شأنه فتركه وقال : « دع ذا . . . أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم

فسأل المهدى حمادا فقال : ليس هذا قال زهير : يا أمير المؤمنين . قال كيف قال ؟ فأنشده ثلاثة أبيات زعمها مطلع القصيدة وهى :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر

لعب الرياح بها وغيرها بَعدى سوا فى المور والقطر

قفر بمندفع النجائب من مضوى أولات الضال والسدر

فعجب المهدى وسأل المفضل عن هذه الزيادة فأنكرها ، فداخل المهدى الريب فى صحتها . فما زال بحماد حتى اعترف بأن الزيادة من وضعه ، وليست من قول زهير فرضى المهدى عن الضبى وزادت ثقته به وعرف الجرأة فى حماد على الوضع ؛ ولهذا فرق بينهما فى الصلة ، فجعل صلة المفضل العليا ، وصلة حماد الدنيا ، تقديرا لمنزلة الرجلين فى الرواية .

٥ — وأسوق اليك قصة عجيبة الصنعة يرفعون نسبها إلى عبد الله بن المبارك المحدث الورع المشهور قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة

قبر نبيه عليه الصلاة والسلام . فبينا أنا فى بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذلك . فاذا هى عجوز عليها درع وخمار من صوف ، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت : « سلام قولا من رب رحيم » فقلت لها : يرحمك الله ، ما تصنعين فى هذا المكان ؟ قالت : « ومن يضلل الله فلا هادى له » فعلمت أنها ضالة عن الطريق . فقلت لها أين تريدين ؟ قالت : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فعلمت أنها قضت حجها وهى تريد بيت المقدس . فقلت لها : أنت منذ كم فى هذا الموضع؟ قالت: « ثلاث ليال سويا » فقلت : ما أرى معك طعاما تأكلين. قالت: « هو يطعمنى ويسقين » قلت فبأى شىء تتوضئين ؟ قالت « فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » قلت لها: إن معى طعاما فهل لك فى الأكل قالت « ثم أتموا الصيام إلى الليل » قلت : ليس هذا بشهر رمضان . قالت : « ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وهكذا يسير النظام فى هذه القصة على هذا النسق الغريب من وضع أسئلة يختارها الواضع كما يشاء ، ويجعل أجوبتها من كلام الله جل شأنه .

وصوغ القصة على هذه الصورة يدل على فطنة واضعها ، وأنه صرف وقتا طويلا ليلائم بين أسئلتها وأجوبتها ، وليس من المعقول مطلقا ان تجيب هذه المرأة عن الأسئلة الموجهة اليها بآيات من القرآن الكريم مهما تكن مجيدة لحفظه ، وإنا لنحفظ القرآن الكريم ولو وجه إلينا سؤال على أن نأتى له بجواب من القرآن لتريثنا طويلا وأطلنا التفكير وقد نوفق أو لا نوفق . فكيف تجيب هذه المرأة على هذه الأسئلة الكثيرة تباعا فى أوقات متلاحقة عفو الخاطر والبديهة ؟

لهذا كله نثق بأن هذه القصة لم تقع بين عبد الله بن المبارك والمرأة ، وهى من صنع مؤلف صرف وقتا طويلا لإخراجها على هذه الصورة وقد نسبها إلى عبد الله بن المبارك لتروج وتقع المناسبة بينه وبين موضوعها ، وهو الرجل الصالح المعروف .

أنا — لقد سرنى هذا العرض للحقائق ونقدها نقداً دقيقاً صحيحاً قائما على الدليل الحسى والنفسى بما لا يدع مجالا للريب — وسيكون لذلك أحسن الأثر

فى نفسى فأهتدى إلى تمييز الحقائق وقياسها بمقياس المنطق وتطبيقها على أصول الذوق والعرف والسعادة . فجزاك الله عنى خير الجزاء

وهل يرى صديقى أن الوضع فى جميع حالاته شر

العصفور — إنى لا أرى الوضع فى الأدب شرا ؛ لأنه خصب له وتنمية فيه ، فهو من حيث موضوعه مقبول ، ولكنى أذمه من حيث نسبته إلى أناس غير قائليه لما فى ذلك من عدوان على الحق ، ولما فيه من خلط وإفساد ، ولأن هذه النسبة قد لا تشرف المنسوب إليهم لما فيها من أمور تشين سمعتهم ، وتقدح فى كرامتهم ، كما نرى فى كتب الأدب من قصص وأخبار — أما الوضع فى العلم والدين فهو شر محض لأنه مفسد للحقائق ، وقد يحل حراماً أو يحرم حلالا ، وما هو إلا ضرب من الهدم الشنيع ، ولهذا أمقت الوضاعين فى هذه الناحية مقتاً عظيما ، وعليهم وزرهم يوم يوفى الله الظالمين حسابهم .

أنا — ماأطيب هذا اليوم وأسعده ! لقد حببته إلىعلى مابه من حر وعنت ، بما أسديت إلىّ من فوائد قيمة وبما رسمت لى من طريق واضحة إلى تذوق الأدب ونقده .

العصفور — شكرا لك أيها الأخ الكريم فما ذلك إلا قبسة من ضوء فضلك ، وغرفة من بحر أدبك ، وإنى لأطرب إلى لقائك وأهش إلى حديثك ، فلا تسرف فى النأى ، ثم انتفض انتفاضة عاد على أثرها صوتاً فاتخذ سبيله فى البحر سربا .

عبد اللطيف المغربى

الفصحى وكيف نشد أزرها

بقلم على النجدى ناصف
مفتش المعارف بالإسكندرية

لغة الأمة سجل حياتها ، الجامع لعلومها وفنونها ، وترجمانها المعبر عن آمالها وعواطفها ؛ فلا جرم أن تعنى الأمم الحية بلغاتها ، كما تعنى بأجل مرافقها شأنا ، وأكثرها عائدة . فلا تزال تتعهدها بما يكفل لها اطراد الحياة والنمو ، وييسر للناس أسباب حذقها ، واجتلاء نفائسها . ويجعلها مرنة طيعة : تجارى العصر ، وتفى بجميع مطالب التعبير . ثم هى بعد لا تدخر حولا ولا حيلة لنشرها فى الناس على اختلاف أجناسهم . فإن فى ذلك نشرا لثقافتها ، وعونا على تغليب صبغتها ، وتقريب شقة التقاطع بينها وبين غيرها ، وكسب أعوان و مريدين فى شتى الأرجاء ، يكون لكل جمهرة منهم ما للرأى العام من القوة والتأثير .

وعلى قدر نصيب الأمة من ذلك يكون نصيبها من أسباب النجاح فى الحياة فإن الثقافة صلة مرعية ، تربط المتخرجين فيها برباط محكم . وإن اختلفت أممهم وأجناسهم ، حتى لقد يعد الأجانب منهم — الأمة التى تزودوا بثقافتها أمة لهم أخرى ، ويعدون بلادها وطنهم الفكرى الذى يغذو عقولهم ، ويمتع نفوسهم ، ويوجه تفكيرهم ، ويطبع أذواقهم بطابعه . وهل هذا الذى نشهده فى مصر بعض الأحيان من الانحياز والتعصب ، أو المنازعة والخلاف على الثقافتين الإنجليزية والفرنسية إلا أثر لشيوع الثقافتين بيننا ، وإعجاب كل امرىء بالثقافة التى أتيحت له منهما ؟ أم هل هذا الذى نراه فى فريق منا من الشعوبية الغالية فى التعصب على العرب والعربية ، العاملة على الإزراء بهما ، وإرجاع كل مزية فيهما إلى أصل أجنبى صدرت عنه ، أو اقتبست منه ، إن حقا وإن باطلا — هل هذا كله إلا نتاج ما أسلفنا ، وظاهرة من ظواهره ؟

وللعربية سبب آخر يجعل العناية بها أوجب وألزم : أنها لغة الدين الحنيف والقرآن الكريم ، تؤدى بها بعض المناسك ، ولا سبيل إلى استنباط الأحكام ،

وتفهم أسرار التنزيل وإدراك إعجازه إلا بها. لهذا بقيت بحمد الله إلى اليوم صلة كريمة تربط الخلف بالسلف، على تقادم العهد، وواشجة موصولة بين أمم المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها. فنحن اليوم نفهم السابقين الأولين من الأدباء والمؤلفين كما نفهم أمثالهم الذين يعيشون بين أظهرنا، لحرص القوم فى كل عصر على سلامة اللغة، ومنع الهجين أن يداخل الخالص، ويتزيا بزيه، ويجرى مجراه إلا نادرا جدا فالعربية أمانة يجب أن نرعاها حق رعايتها، وأن نورثها أبناءنا كما ورثناها نقية خالصة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذا كان من أسباب نمو اللغات الأجنبية تقارض الألفاظ، وتقبل المصطلحات، أياً كان نسبها فإن هذا السبب على إطلاقه غير سائغ ولا مقبول فى تنمية العربية ألبتة. ولعله الآن أشد ما يكون استحقاقاً للمجانبة والنفى، أن كان العصر عصر الكشف والمخترعات المتلاحقة فى العلوم والفنون والصناعات، وحظنا من ذلك لا يذكر إلى جانب حظوظ الأمم الأجنبية منه. فإذا نحن فتحنا باب الاستعارة والقرض ـ نسلت إلينا العجمة من كل حدب، ودخلت علينا من كل باب، وصرنا مع الزمن إلى رطانة شوهاء ممسوخة لا عربية ولا أعجمية. وهنالك تنقطع الصلة بالدين، ويستغلق فهم مصادره، ويتدابر الماضى والحاضر، فإذا نحن أمة بلا لغة ولا دين ولا ماض مفهوم، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله سبحانه السلامة والعصمة.

لذلك جاء قرار المجمع اللغوى فى هذا الصدد حكيما غاية الحكمة، سديداً السداد كله.

أما دعاة الإباحية فى اللغة فدأبهم فى هذا الموقف كدأبهم فى المواقف الأخرى، يظنون التجديد الذى يتشدقون به ـ إنما هو تعدى الحدود القائمة، وانتهاك الحرم المصونة فى غير وعى ولا نظر إلى العواقب. وماذا يعنيهم إذا اندفعت العجمة سيلا جائحا يكتسح ما يكتسح. ويفلت منه ما يفلت، ما دام فى هذا وحده فكاكهم من معاناة التحصيل، وتخلصهم من معرة الجهالة والفتور ؟ وإذا لم يكن هذا هو داءهم الذى يزين لهم ما يدعون إليه من خطل. فماذا عسى أن

يكون ؟ أتراهم يريدون عن عمد تغليب الأعجمية على العربية ، كما غلبت النابغة الغربية على بعض مقوماتنا ، وتريد أن تلتهم بعضنا الآخر لنكون فى الناس مسخا غريبا . لاشخصية له ولا نظير ؟ أم تراهم يريدون خير اللغة ، وأن تكون وافية بحاجة العصر وما يجد فيه ؟ إن كان هذا مرادهم ـ وهو مايزعمون فيما نرجح ـ

فهاهم أولاء علماء العربية وسدنتها المنقطعون لتحصيلها وخدمتها ، قد كفلوا أن يبلغوا بها هذا المبلغ مستغنين بأغلاقها المكنوزة ، ونفائسها المجفوة المهجورة عن الاستعارة والقرض ما أمكنهم الاستغناء غير ضانين بمجهود ، ولا مبالين عنتا ولا رهقا .

وهذه مجلة المجمع ، وما يشابهها من المصنفات التى تقدمتها ـ تزخر بنتائج بحثهم وتقصيهم ، وتشهد بوفرة مادة اللغة ، واتساع فجاجها ، فليهنئوا إذاً كما هنىء غيرهم بما يزجى إليهم عربيا خالصا ، لا هجنة فيه ولا دخل . وما أظن إلا نهم موافقىّ على أن الرجل الذى لا يستنكف من القرض ، وهو قادر ببعض الجهد أن يستغنى ، يكون امرأ تكلة ، ضعيف الهمة ، قليل الاعتداد بالكرامة والعزة.

***

إن فى البلاد اليوم ـ ولامراء ـ نهضة فكرية مباركة ، تبدو دلائلها فى كثير : تبدو فى المجمع اللغوى وبحوثه المستفيضة ، وتحقيقاته الممتعة ، وقراراته الحكيمة المنتجة ، وتبدو فى هذه المؤلفات القيمة وفى الصحف والمجلات الجدية ، بما تتناول من الموضوعات الجليلة ، وتنشىء من المقالات والبحوث فى شتى النواحى : بحثا ، وتحليلا ، ونقدا ، وفى المعاهد العلمية والدينية وإصلاحها مناهجها وتقويم خطط الدراسة فيها ، وكثرة من تخرج من العلماء والأدباء ، وفى هذا التعاون الكريم على بعث مصادر الأدب والتاريخ ، وإخراجها فى صورة جذابة شائقة ، توافق روح العصر ، وتساير النهضة ، بما يجتمع فيها من أناقة الطبع ، وصحة الضبط ، وتيسير الافادة ، وفى فرقة التمثيل القومية ، بما تتخير من الروايات ذات الشأن ، وما تلتزم فى لغتها من صحة البيان ، وفصاحة المنطق محاورة وإلقاء.

نعم تبدو النهضة الفكرية فى ذلك كله وفى غيره ، لكنها على تهيئها وتمشى الحياة فيها ، تحتجن الانتفاع ببعض ثمارها من ناحية . ويخالطها بعض شوائب

مستكرهة من ناحية أخرى ، فمن الخير أن نعمل على إشاعة الانتفاع بالأولى ما أمكننا العمل ، وأن نسل من الاخرى شوائبها فى غير هوادة ولا إبطاء ؛ فانما هى بوادر التشكى تظهر فى بيئة الحى أول أمرها واهنة غير بادية الأثر ، ثم تصير بالاغضاء وقلة الاكتراث مرضا يخشى شره وربما استعصى علاجه .

فهذه الألفاظ والمصطلحات التى يستبدل بها مجمع اللغة ألفاظا ومصطلحات أخرى حديثة ، يجب أن يتداولها الاستعمال ، وأن تتبوأ أمكنتها فى لغة الدواوين ومصالح الحكومة ، وفى الترجمة وكتابة الصحف ، وكتب الدراسة وإنشاء الطلاب ، حتى تدب فيها الحياة ، وينفسح لها المجال . فتذهب فى شتى المطالب كل مذهب ، وتجول هنا وهناك ، فتسيغها الأذواق ، وتألفها الآذان ، وتزكو بها اللغة . أما أن يعمل المجمع ويبحث ، لتدون نتائج أعماله وبحثه فى المجلة وكفى ، فإضاعة لجهوده ، وصد عن أداء رسالته . وما أشبه الكلمات والمصطلحات التى يقرها حينئذ بالجنين يولد ميتاً ، أو يوأد قبل أن يعمل فى الحياة عملا ، أو يخلف فيها أثرا . وجدير بحضرات المدرسين ـ مهما تكن العلوم التى يعلمونها ـ أن يثيروا فى التلاميذ عاطفة الاعتزاز بقوميتهم ولغتهم ، وأن يكونوا قدوتهم الصالحة فى مجانبة العامية ، والتزام الفصيحة فى الحوار والالقاء ، ما أمكن ذلك ، ليعتادوها قولا واستماعا .

أما ما يجب أن تخلص النهضة من شوائبه ، ونعمل متعاونين على تطهير اللغة منه ، فاللغة العامية . نعم ، فلا يزال لها فينا أنصار ينعبون بها ، ولا يستحيون أن يجهروا باصطناعها ، حتى فى المواقف الجليلة ، التى يجب فى شرعة الذوق والكياسة أن تنزه عنها . أولئك هم كتاب الأدب الماجن وممثلوه ، والمتصدرون لخطاب الناس بالوحى ، من المتظرفين .

ولا ندرى ماذا على أولئك الكتاب والممثلين لو بدلوا بعاميتهم المبتذلة عربية شريفة لا عجمة فيها ولا عوج ؛ إيثارا للخير العام ، وتسامياً بالدهماء إلى الفصيحة ؟ إنهم لجديرون أن يرعوا فى أعمالهم خير أمتهم وبلادهم ، كما يرعون فيها خير أنفسهم ، فلا يقفون مواهبهم وجهودهم على تملق الدهماء وإرضاء نوازى

التبطل والاستهتار فى نفوس الخليين والمجان . هم جديرون أن يذكروا فى كتابتهم وتمثيلهم أنهم إنما ينزلون من جمهورهم بمنزلة المعلمين من التلاميذ ، فليتقوا الله إذاً فى تلاميذهم ، وليجعلوا الغاية التى يسعون إليها بأعمالهم هى التثقيف والتهذيب والدعوة إلى الخير والرشاد .

وإذا كان هذا النمط من الأدب الفكاهى لا يقع أول الأمر من المتفرجين بموقع القبول والاستحسان ؛ لاعتيادهم النكتة اللفظية تهزهم هزا عنيفا ، وتأخذهم بالطرب والإضحاك أخذاً شديدا ـ فإنهم بالرياضة وطول التمرس حقيقون أن يألفوه ، ويسكنوا إليه . على أن فى مفارقات الوقائع وصور الأخيلة الهزلية العابثة غناء عن هذا وعوضا منه .

أما السادة المتظرفون ، من المتصدرين للمحاضرة أمام المذياع ـ فلا أدرى والله مالهم لا يريدون أن يعلم الناس عنهم أنهم أصحاب ذوق سليم ، يحسنون التفرقة بين المواقف المختلفة ، ويعلمون أن لكل مقام مقالا ، وأن العامية إذا خفت على السمع ، وساغت فى الذوق لغة للتخاطب والتفاهم فى الأسواق مثلا ، فإنها فى مواقف الخطابة والتصدى للمحاضرة لتثقل على السمع جداً ، وينفر منها الذوق السليم أشد النفور . وما مثل هؤلاء فى هذه المواقف ، إلا كمثل الرجل يتوقر فى أسبابه ، ويوهم الناس بظاهر حاله أنه متصون محتشم ، يحاول جدا من الأمر ، حتى إذا اجتمعوا له ، وهيئوا أنفسهم لما يأتيهم به ، واستوى هو فى مكانه ، راح يرميهم بالهزل القبيح . ويأخذهم من حيث لا يحتسبون بالسخف والابتذال ، بل ربما كان فى هذه المباغتة ما يخطىء أصحابنا المتحدثين بالوحى من بعث الانبساط ، وإثارة الضحك والارتياح فى السامعين .

ويدخل فى زمرة هؤلاء فريق آخر ، يتحدث بالعربية الصحيحة المبنى والعبارة المحرفة الشكل والاعراب ، فيصك الآذان صكا شديدا بلحنه واعوجاج منطقه . ولا أدرى ماذا على هؤلاء لو التمسوا صلاح أحاديثهم واستقامة لغتها عند أهل المعارفة باللغة ، والبصر بصحيحها ومحرفها ؟ أهم يظنون المسألة كلاما وكفى ، كيفما

كان ، وعلى أى حال تهيأ لهم ؟ أم أنهم يخجلون من طلب الخلاص من هـذه المعرة عند بعض الناس ، ولا يخجلون من إعلانها على رءوس الأشهاد ؟

والأغانى كذلك بحاجة إلى الإصلاح معنى ولفظا ، فقد أصبحت لا تلائم عصرنا ، ولا تتفق مع نهضتنا الحاضرة . لأنها فى الغالب رخوة متهتكة . لا تصدر عن نفس جادة أيدة ، تجانس العصر ، وتستطيع الاضطلاع بأثقال الحياة الحاضرة . ولغتها قل أن تبرأ من العامية ، بل العامية السمجة الوقاح .

إنها يجب أن تكون كلها شعرا رقيق العبارة ، سهل المأخذ ، خفيف الوزن ينظمه شعراؤنا المطبوعون ، الذين مرنوا على علاج هـذا النوع ، وألفوا اصطناعه ، وهم بحمد الله غير قليل . فهذا اللون من الأغانى جذاب الموسيقا ، هين التطريب ، مطاوع التوقيع ، شديد الأسر . وهو فوق ذلك عون على إذاعة الفصيحة ، ورواج سوقها .

ومن منا لا يشيع فيـه الطرب ليس أبلغ منـه حين يسمع : مالى فتنت بلحظك ، أو : أفديه إن حفظ الهوى ، أو نحوهما من الأغانى الشعرية الراقية ؟ .

علي الجندي ناصف

خالد بن الوليد
نسبه ونشاته

بقلم علي علي عنيبة
المدرس بمحمد على الأميرية للبنين

خالد بن الوليد بطل من أبطال الاسلام ، وقائد عظيم من قواد الحرب المحنكين وسيف من سيوف الله . أبوه الوليد بن المغيرة سيد قريش وعظيمها فى الجاهلية ، والملقب بينهم بالعِدل ؛ لأن قريشا جميعها كانت تكسو الكعبة سنة ويكسوها وحده من ماله سنة . ولعظيم مكانته فى قومه ، وشدة معارضته للنبى صلى الله عليه وسلم ، فى بدء الدعوة أنزل الله فيه كثيرا من آيات القرآن الكريم: فقد كان الوليد كثير الكيد للنبى ، شديد العناد ألد الخصام ؛ فقال تعالى متوعدا أشد وعيد ، مهددا أعظم تهديد : « ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا » . وقال الوليد مستكبرا متعاليا . أينزل القرآن على محمد ، وأترك وأنا كبير قريش ، ويترك أبو مسعود الثقفى سيد ثقيف ؛ فأنزل الله قوله تعالى : « وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » .

من ذلك تعلمون أن خالدا درج فى بيت عز ومجد ، وشرف وسيادة ، ونشأ كما ينشأ العرب إذ ذاك محبا للحرب ، عليما بفنونها مشغوفا بالفروسية يركب الخيل ، ويجيد ضرب السيوف ، وطعن الرماح . ورمى السهام ، فلم يكد ينزع رداء الطفولة حتى كان سيداً فى قومه ، شجاعا مقداما ، نافذ العقل ، سديد الرأى ، جرىء القلب ، ذكى الفؤاد ، فالقوا إليه بأعنة الخيل ، وكان فى الحرب قائد الفرسان .

وقد ظهرت صفاته العظيمة ، ويقظته وذكاؤه ، ومكره ودهاؤه فى غزوة حد : فلم يكد رماة المسلمين يتركون مواقفهم التى أمروا بها ، حتى كر خالد

بخيله على المسلمين من خلفهم ، فبدل نصرهم هزيمة منكرة ، ورزءا عظيما ، ولولا أن الله سبحانه مؤيد نبيه ، وحافظ دينه ، لكانت هذه المكيدة القاضية على الاسلام والمسلمين . ولهذه الصفات سر النبي بإسلامه سرورا عظيما ، واستقبله بوجه طلق ، وثغر باسم ، وقال له : الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقلا ورجوت ألا يسلمك إلا لخير .

مظاهر عظمته وأسرار انتصاره

وكأنى بكم تسألون ماسر عظمته ، وما الأسباب التى هيأت ذلك النصر المطرد ، والفوز المبين ؟

للعظمة أسرار وأسباب ، بعضها ظاهر جلى . وبعضها مستتر خفى أما الأسباب المستترة فغاية مايقول الناس عنها : إن فلانا موهوب . وأن له روحا قوية ، وقوة خفية . تجعله مهيب الطلعة ، جليل القدر ، قوى التأثير فى نفوس الجماهير .

وأما الأسباب الظاهرة فتتجلى فى خلق متين ، أو رأى حكيم ، أو شجاعة وإقدام ، أو فصاحة وبيان ، وقد كان خالد بن الوليد عظيما موفور الحظ من أسباب العظمة وأسرارها . وكان قائدا لم يظفر العالم بكثير من أمثاله ، وستلمسون أسباب عظمته ، وأسرار فوزه وانتصاره من الأمور الآتية :

أولا : كان خالد مخوفا مرهوبا ، يسبقه إلى أعدائه جيش من الرعب . فاذا قلوبهم فى جناح طائر من شدة الخفقان ، علم بمقدمه هرقل ملك الروم فقال : ويل للروم من المولود المشئوم ، وقال أحد قواد الملك : أنا أعلم الناس بحاله ، لا أحد أيمن طائرا منه ، ولا أحد فى حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه .

ثانيا : كان حاد الذكاء ، واسع الحيلة ، عظيم الدهاء ، له فطنة فى الحرب ، ليست لأحد من العرب ، يتصور الشىء كأنه يراه ، فهو يتخيل المعركة قبل حدوثها ، ويفكر ويقدر ، ثم يدبر الخطة الحكيمة ، ويرسم السبيل القويم ، فاذا استمر القتال ، وجدّ مالم يكن فى الحسبان لم يغب عنه الفكر الصائب ، والرأى السديد ، وسترون فى حرب سليمة كيف كان رأيه فى أثناء المعركة أحد من الأسنة وأمضى من السيوف .

ثالثا : كان يجمع إلى سداد الرأى ، الشجاعة والاقدام ، يدبر الأمر ويحكم الخطة ، فاذا وقعت الواقعة ، وحمى الوطيس ، ضرب لجنوده المثل الأعلى فى التضحية والاقدام ، واحتقار الموت ، فكان يقدم الجيش كالليث الكاسر ، شاهرا سيفا فى حده المنايا ، وفى ضربته المنون ؛ فإذا أبطأ عنه النصر نادى قائد جيش العدو ، ودعاه للبارزة ، فلا يكاد يخرج اليه حتى يرديه قتيلا .

رابعا : لم يغفل خالد عما يحسب له قواد الحرب الآن ألف حساب ، وهو حالة الجنود النفسية ، أو روحهم المعنوية كما يقولون : فقد كان دائما يذكى فى جنده الحماسة ويقوى روحهم ، ويملأ نفوسهم ثقة وأملا : سمع رجلا من المسلمين فى وقعة اليرموك يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ؛ فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان ، لا بعدد الرجال وهو يعمل دائما على إضعاف هذه الروح فى جيش عدوه ويخيفهم ويملأ قلوبهم رعبا وفزعا ويأسا وقنوطا : قال مرة لقائد من قواد الروم : نحن معشر العرب نشرب الدماء وقد قيل لنا لادم أحلى من دم الروم ؛ فأقبلنا نريق دماءكم ونشربها . وقال لقوم تحصنوا منه فى حصن منيع : لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم ، أو لأنزلكم الينا .

أمثلة موجزة من حروبه

وإنى أذكر أمثلة موجزة من حروبه ، لتكون مرآة لكم ، ترون فيها شديد بأسه ، وحكيم رأيه ، وقد يغنى القليل عن الكثير :

١ — حربه مع مسيلمة : أبدأ لكم بكلمة عن مسيلمة فإن قصته فيها الطريف المضحك ، وإن كانت كلها شرا وكفرا . كان مسيلمة بن ثمامة رئيس قومه ، وقد وفد على النبى فأسلم ، ولما عاد إلى اليمامة ارتد ، وادعى النبوة ، وقال : إن الله قد أشركنى فى الأمر مع محمد ، وأرسل إلى النبى هذا الكتاب : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فانى قد أشركت فى الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشا يعتدون ، فكتب النبى إليه :

«من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما

بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد أهلكت قومك ، أبادك الله ومن صوت معك ».

وفى خلافة سيدنا أبى بكر توجه خالد لقتاله فى بضعة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وأهل القبائل ، فلما بلغ مسيلمة دنو خالد خرج إليه فى أربعين ألفا من قومه ، فتقاتل الفريقان قتالا عنيفا ، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين ، وتارة للمرتدين ، ولما رأى خالد رضى الله عنه ما الناس فيه قال : امتازوا أيها الناس ، لنعلم بلاء كل حى ، ولنعلم من أين يأتينا الضعف . فلما امتازوا قال بعضهم لبعض : اليوم يستحيي من الفرار . فقاتلوا قتالا شديدا ، وثبت مسيلمة وقومه ، فعرف خالد أن الحرب لا تنتهى إلا بقتل مسيلمة ، فتقدم المسلمين ، ودعا إلى المبارزة ، فلم يبرز إليه أحد إلا قتله ، ثم دعا مسيلمة ، فخرج إليه فحمل عليه خالد وأرهقه ، ففر مهزوما ، وتبعه خالد والمسلمون من خلفه يقتلون ويأسرون ، فقتلوا عشرين ألفاً فيهم مسيلمة ، وتم النصر للمسلمين .

٢ — فتحه العراق : ولما فرغ خالد من أمر مسيلمة أمره أبو بكر بالسير إلى العراق فمضى إليه . وهزم الفرس وشتت شملهم ، وظل ينتقل من فتح إلى فتح ، ويحرز نصراً فى أثر نصر حتى فتح مدائن العراق ، ولما بلغ أبا بكر أنباء هذا النصر العظيم قال : يامعشر قريش ، عدا أسدكم على أسد الفرس فقتله ، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد ؟

٣ — وقعة اليرموك بالشام : ولما رسخت أقدام العرب فى العراق أرسل سيدنا أبو بكر يأمره أن يسرع إلى الشام لنجدة الجيش العربى الذى يقاتل الروم ، وهنا تظهر عبقرية خالد ، وسداد رأيه ، ومضاء عزيمته ؛ فإن عليه أن يصل إلى ساحة القتال بالشام فى وقت قصير ؛ وأمامه طرق بعضها طويل يضيع الوقت ، ويفوت الفرص ، وبعضها إن قصر ، فانه يعج بالمسالح القوية ، والحصون المنيعة ، فماذا فعل هذا القائد المغامر ؟ رأى أن يجتاز بجيشه صحراء قاحلة جرداء يضل فيها النجم ، ولا يبلغ مداها الوهم : حرها جحيم ، وريحها سموم ؛ ماؤها سراب ؛ وسحابها رباب ، والسير فيها عذاب أى عذاب ؛ ولكن خالدا له عزم

يفل الحديد فأتى بجمال وأظمأها أياما. ثم سقاها حتى رويت ؛ وربط أفواهها حتى لا تجتر ؛ فينفذ مافى جوفها من الماء ثم اقتحم بجيشه هذه المفازة المهلكة ؛ وفى كل مرحلة يذبح بعض الجمال الراوية ؛ ويستخرج مافى جوفها من الماء؛ فيسقى منه الخيل والدواب ؛ وبهذه الحيلة العجيبة قطع هذه البادية فى عشرين يوما ؛ وأدرك المسلمين فى الشام قبل أن يتخطفهم الروم من كل مكان ؛ ونزل عليهم كما ينزل الغيث الهاطل على القفر الجديب ؛ فكان عمله هذا إحدى المعجزات التى وضعته فى صف هنيبال ، والاسكندر ، ونابليون ، ولم يكد يصل إلى المسلمين حتى اشتبكوا مع الروم فى معركة فاصلة تسمى . وقعة اليرموك ، كان جيش المسلمين فيها أربعين ألفا وجيش الروم مائتين وأربعين ألفا : وتقدم الروم لهم صوت كصوت الرعد . فتقابل الجيشان واقتتلا أشد قتال وأبرحه ؛ وحمل خالد على قلب الروم ، ففصل بين خيلهم ورجلهم ، ولما رأى فرسان الروم يتوجهون للهرب أفرج لهم ولم يحرجهم ، فخرجت الخيل تعدو بهم فى الصحراء ، وأقبل المسلمون على الرجل يعلون السيف ، ويقتلون الصف ؛ فكأنما يهدمون حائطا ؛ فشاعت الفوضى فى الجيش الرومانى ؛ وأطار الفزع أفئدتهم ؛ فولوا مهزومين تحت جنح الظلام بعد أن قتل منهم مائة وخمسون ألفا ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة آلاف شهيد .

وفاته

قضى خالد معظم حياته فاتحا مجاهدا ، شهد مئات المعارك ، وحارب المرتدين والمتنبئين ، وفتح العراق والشام ، وهزم الفرس والروم . وتقدم الصفوف ، وجال وصال ، وأكثر من النزال ، فلم يظفر به سيف . ولم يشرف بمقتله سنان ، وها هو ذا تحضره الوفاة ؛ فيبكى ويقول : لقيت كذا وكذا زحفا ؛ وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ؛ أو طعنة برمح ، ولقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء . . فعليه رحمة الله .

على على عتيبة

تقسيم الشعر عند العرب وعند الفرنجة

للأستاذ عبد الوهاب حموده

قسم الباحثون الشعر العربى من حيث الأغراض المتنوعة التى يقصدها الشاعر ، أقساما كثيرة وفنونا متعددة ؛ فقد ذكر صاحب ديوان الحماسة أنها عشرة أنواع ، وابن أبى الاصبع أبلغها إلى ثمانية عشر وهى :

الغزل ، والوصف ، والفخر ، والمدح ، والهجاء ، والعتاب ، والاعتذار ، والأدب ، والزهد ، والخمريات ، والمراثى ، والبشارة ، والتهانى ، والوعيد ، والتحذير ، والملح ، والسؤال والجواب ؛ وزادوا عليها الزهريات ، والحكم والمجون ، والحماسة .

وليس معنى هذا أن كل قصيدة يجمعها نوع واحد بل كثيراً ما تختلط الأنواع وتجتمع فى قصيدة واحدة .

وهذه الأنواع كلها فى نظر الشاعر غير العربى ، نوع واحد . يسمى الشعر الغنائى ؛ لأن مرجعه الى التأثير على النفس ، تأثير الموسيقى عليها .

أما أقسام الشعر عند الفرنجة فهى ثلاثة :

أولا — الشعر القصصى :

الشعر القصصى هو أقدم الأنواع عند الافرنج ، وهو عبارة عن سرد الوقائع والحوادث على سبيل القصة . ففيه ذكر للحروب والمحن . وما يبلى الأبطال فيها من بلاء ، وفيه ذكر للآلهة ، يستوحيهم الشاعر ما يريد أن يقول . ثم هو شعر اجتماعى تفنى فيه شخصية الشاعر فناء تاما فى الجماعة التى يصفها . فيفتن الشاعر فى وصف تلك الوقائع ويتلاعب فى إيراد تفاصيلها وسرد ظروفها ، كل ذلك فى نفس طويل ، وعدد من الأبيات تربى على الألف . مثل الالياذة لهوميروس والشهنامة للفردوسى

فالإلياذه هى قصة الحرب التى دامت عشرين عاما بين طرواده وممالك اليونان وهى تمثل الحضارة اليونانية القديمة أصدق تمثيل .

أما الشهنامة فهى ملحمة فارسية نظمها الحسن بن إسحق الفردوسى المتوفى سنة (٤١١ هـ) فى تاريخ الأكاسرة وأخبارهم ووصف الحرب التى اشتعلت بين أهل إيران وأهل طوران .

هذا النوع من الشعر — وهو الشعر القصصى أو شعر الملاحم كما أطلق عليه حديثا — لم يعرفه العرب بشروطه التى وضعها له الافرنج ولهذا أسباب :

(١) أن العربى قليل النظر فى الأحوال العامة ، كثير الاهتمام بنفسه ومايعود على شخصه ، وذلك راجع إلى حالته المعيشية التى كانت تلجئه إلى هذا النوع من الحياة ، فسارت أفكاره فى طريق خاص ، اقتصر فيها على إظهار مايجول بخاطره والتعبير عما يتردد بين جوانحه مما هو مقصور على نفسه ومحصور فى شخصه .

(٢) إن الشعر القصصى يحتاج إلى شىء من التروى فى القول والدقة فى النظر والإمعان فى الفكر ويحتاج إلى شىء من المعانى الفلسفية الاجتماعية . وإلى التحليل والتطويل .

وطبيعة العقل العربى لاتنظر إلى الأشياء نظرة عامة شاملة . فيها تحليل وتدقيق بل الغالب عليه الفطرة والطبع من غير مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة .

(٣) إن الملحمة أو الشعر القصصى نوع من أنواع التاريخ الأدبى إذ هو تاريخ فى قالب شعرى وتدوين التاريخ وما يتطلبه من تحليل للأشخاص وربط للحوادث درجة لا تكون إلا مع قدر صالح من الحضارة . وهو مالم يتوافر عند عرب الجاهلية .

(٤) إن الملحمة من شروطها أن تتخللها الخوارق ، ويكون فيها يد للقوى العلوية ، وهذه خلة لم تتوافر للعرب ؛ فانهم مع قولهم بالجن والهواتف وماشاكلها كانوا قليلى الاهتمام بما وراء الطبيعة .

فلا سبيل إذن للزعم بوجود الشعر القصصى لعرب الجاهلية على نحو مايراد منه عند الافرنج .

وإنما للجاهليين نوع آخر من الشعر القصصى مما يعز وجوده فى سائر اللغات ، وذلك فى الملاحم القصيرة المقولة فى حوادث مخصوصة ؛ فالمعلقات مثلا نرى فيها من سرد الحوادث وتفصيل الوقائع ما يعد فى أعلى طبقات الشعر القصصى ،

فالعرب نظموا إذاً الشعر القصصي ، وإن لم يبلغوا به تلك المكانة الرفيعة التي بلغها هوميروس ، ومن حذا حذوه من فحول الشعراء عند الأمم .

ثانيا — الشعر الغنائي :

وهو ذلك النوع الذي يقصد منه الشاعر إظهار ما تكنه نفسه من العواطف وما يحسه قلبه من المشاعر ، وما يتمثل لخاطره من التصورات البديعة . والخيالات المبتكرة .

ولقد قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصي الذي فيه أخبار آلهتهم وحروبها ، وعلاقاتها بالبشر ، حتى إذا تطورت الحضارة ، وتغيرت نظم الحياة ، وظهرت شخصية الأفراد ، وقويت حقوقهم . أحس الشعراء أنفسهم وأنشئوا شعراً جديداً يصف نفوسهم وعواطفهم وشعورهم وحياتهم . وهذا الشعر هو الشعر الغنائي : فيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء وغير ذلك .

ثالثا — الشعر التمثيلي :

وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة ، فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم ، وينسب إلى كل منهم ما تحتمله الظروف ، وتدل عليه القرائن من الأفعال والأقوال ، فينطق كل منهم بلسان نفسه . وهذا النوع من الشعر يصف حياة الجماعات . كما هي أو كما كانت أو كما يجب أن تكون . وهو يعتمد على الحوار والحركة والغناء معا . وذلك لأن الشعراء رأوا أن الكلام وحده لا يكفي لتحريك العواطف ، وتمثيل الفضائل ، فعمدوا إلى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها ، يؤدي سردها وتمثيلها إلى مغزى ما يريدون .

فالشعر التمثيلي يراد منه في أصل وضعه تمثيل الوقائع ، التي ترمي إلى الموعظة أو الحكمة ، معتمداً على الحوار والحركة ، وعند القدماء يعتمد بنوع خاص على الغناء والرقص والموسيقى ، والشعر العربي لا يعرف أيضا هذا النوع ، بل ظل غنائيا . وتطور في حدود النوع الغنائي . ولكن هذا لا ينقص منه ، ولا يضع من قدره ، ولا يقدم عليه الشعر الأجنبي . فليس يقاس الشعر بأنه اشتمل على هذا النوع ولم يشتمل على ذاك . وإنما يقاس الشعر بأنه أجاد أو لم يجد النوع الذي اشتمل عليه ؛ لأن لكل أمة منزعا ، ولكل شعب خيالا خاصا ، وطريقة خاصة في التصور والإدراك والصناعة .

عبد الوهاب حموده

اساس الحضارة الإسلامية الحديثة

بقلم عبد العزيز أمين عبد المجيد
عضو بعثة دار العلوم بانجلترا

الحضارة المصرية الحديثة وهل تبنى على أساس فرعونى أو عربى : —

لكى نستطيع أن نعطى حكما قاطعاً فى قضيتنا التى هى موضوع بحثنا اليوم ، يجب أن نفهم أولا - كما يقول المنطقيون - مدلول العبارة ، ثم نحلل المقدمات ونتتبعها حتى نصل إلى النتيجة الصحيحة .

وإذاً فعلينا أن نعرف أولا المقصود بالحضارة ، وما هى الحضارة المصرية الحديثة ، وما هو الأساس الفرعونى الذى يصح أن تبنى عليه هذه الحضارة ، وهل هناك حضارة فرعونية حية ، وما هو مقدار حيويتها ، وما هو المقصود بالحضارة العربية التى نريد أن نجعلها أساسا لحضارتنا الحديثة ، وهل لنا حق الاختيار والتقرير ، أو هذا شىء فرضه علينا التاريخ والاجتماع ، وهل نستطيع أن نبنى على غير هذين الأساسين إن أردنا ؟ ؟ .

أخشى أن تشعر روح هذه الأسئلة بشىء من الجرأة فى البحث ، أوالتطرف فى التفكير ، ولكنها أسئلة ضرورية لمعالجة موضوع كهذا .

كل منا يعرف المعنى العام لكلمة الحضارة ، ولكنى لست واثقا من أن كلا منا يستطيع أن يذكر بالضبط مدلول الحضارة وحدها ، والحضارة كغيرها من المعنويات شىء يمكن إدراكه ، ولا يسهل حدّه ؛ ولكى نلمس صحة هذه الدعوى ندع كلا منكم الآن يسائل نفسه السؤال الآتى :

ما هو بالضبط المقصود بالحضارة ؟

لا أظن أن كثيرا من الأجوبة سيكون مقنعا ، أو جامعا مانعا ، ولكن يمكن أن يقال إن كلا منا قانع بما يعرفه عن مدلول كلمة الحضارة .

ولم كل هذا ؟ أليست الحضارة ضد الهمجية ؟ ولكن ماهى الهمجية ؟ أو بعبارة أخرى من هو الرجل المتحضر ؟ وماهى مميزاته ؟ وكيف نفرق بينه وبين الرجل الهمجى ؟ أبمظهره ومنظره ؟ أم بطريقة تفكيره وتصرفه ، ونظام حياته ، ودرجة معرفته ؟

وهنا يصح أن أشير إلى مناقشة جرت بينى وبين أحد الزملاء لأول مرة حول هذا الموضوع(١) . ذكر لى أنه يشرح كلمة الحضارة بما تدل عليه كلمة Culture الإنجليزية ، وأن مدلول هذه الكلمة الأخيرة يشمل ثلاثة عوامل جوهرية : هى العامل اللغوى ، والعاملى الدينى ، والعامل الخلقى بمعنى أوسع ، وأثر هذه العوامل فى حياة النوع الانسانى .

وبعد أن أخذت المناقشة مجراها العلمى واللغوى اتفقنا على اقتراح أبديته له ، وهو أن تكون الكلمة العربية المقابلة لكلمة (Culture) هى كلمة (ثقافة) . وأن كلمة الحضارة أوالمدنية هي ترجمة الكلمة الانجليزية Ci lis ation

وعلى هذا الأساس قابلنى هو بعد أن أعلن موضوع محاضرتى ، وذكر بأن الأولى بناء على هذه المناقشة الماضية أن يكون عنوان المحاضرة (الحضارة المصرية الحديثة وهل تبنى على ثقافة فرعونية أو عربية ؟) غير أننى رغبت أن أتناول الموضوع كما ذكر عنوانه فى مطلع المحاضرة ؛ ليتسنى لى أن أتعرض لمدلولى الكلمتين : حضارة وثقافة ، خلال حديثى .

وفى اعتقادى أن أحداً لم يحاول فى اللغة العربية التفرقة بين الثقافة والحضارة ، فالأدباء والمؤرخون يقولون : الثقافة الإسلامية ويعنون الحضارة الإسلامية أو العكس . وفى اللغة الإنجليزية لا يوجد فرق بين الثقافة والحضارة ، وإنما يوجد هذا الفرق فى اللغة الألمانية . فالثقافة فى الألمانية تشمل الآداب والفلسفة بما فيهما من علوم الاجتماع والأخلاق وهى كلمة Kultnr . وأما الحضارة فتعلق بالماديات كالطب والموسيقى ، ونظام الحكم العملى ، وترقية طرق المواصلات وتنظيم الرى ، وفن العمارة ، ونظام الجندية ، وما إلى ذلك ، وهى كلمة Civislisation

(١) هو الأستاذ محمد خلف الله أحمد

ويظهر لى أن اللغة العربية تحتمل هذه التفرقة ، فإننا نقول : رجل مثقف ونعنى بذلك أنه قد نال قسطا وافراً من الدراسة الأدبيه ، وعلى صلة بالفلسفة وعلوم الاجتماع والأخلاق ، وإن كان لا يعرف شيئا عن تركيب الماء ، ولا خواص المغناطيسية ، ولا حساب المثلثات .

كما إننا نقول « أمة متحضرة » إذا كان نظام الحكم فيها ، ومستوى الحياة الاجتماعية والمعاشية قد وصلا إلى درجة تكفل للفرد الراحة ، والأمن والسعادة النسبية .

وقد يكون من السهل أن نصف الرجل بأنه متحضر بمجرد رؤيته ، ومن غير اختبار لمعارفه العلمية أو الاجتماعية ، ولكنا حينما نصف رجلا بأنه مثقف ، نبنى هذا الوصف على معرفتنا لصفاته العقلية والاجتماعية والخلقية . وكل رجل مثقف متحضر ، وليس بالطبع كل متحضر مثقفا ، وحضارة الأمة ليست نتيجة لثقافة كل فرد من أفرادها ؛ وإنما هى أشبه بذلك الضوء الذى تراه قد ملأ فراغ الحجرة ، ولكن له مصدراً أو مصادر معينة . هذه المصادر التى تنبعث منها الحضارة كما ينبعث الضوء من مصادره ، هى المصادر المثقفة .

وإذاً فيمكننا أن نقول : إن الحضارة وليدة الثقافة ، وإن الحضارة يظهر أثرها فى الماديات ، كما أن الثقافة تتسلط على المعنويات . ولا يمكن حدوث أى تغيير مادى من غير أن يسبقه تغيير معنوى . بمعنى أن كل تغيير فى مظهر الحضارة لا بد أن يكون قد سبقه تغيير فى مظاهر الثقافة ، التى هى فى الواقع نصيب الخواص ، وليست نصيب كل فرد .

وقد توجد الثقافة ولكن فى دور الكمون « Latent » وفيها القدرة على الظهور ، وإبداء آثارها فى المجتمع حينما تتاح الفرصة المناسبة ، وتتهيأ الظروف لإبراز هذه الروح الثقافية فى صورة حضارة فى المجتمع .

فقد يكون فى شعب من الشعوب أفراد مثقفون ، لهم نظريات اجتماعية ، وآراء فلسفية وأدبية . ولكن الشعب الذى يعيشون فيه ، ليس مستعدا لتلقى هذه الرسالة الثقافية وتحويلها إلى حضارة ، وإذاً تظل هذه الثقافة سجينة فى نفس

صاحبها حتى يموت فتموت معه ، أو ربما أودعها بطون الكتب ، فا كتشفها أهل الأجيال المقبلة ، واستغلوها فى ميدان الحضارة . ومثل هذا مثل التيار الكهربائى فى السلك المسلط على المصباح ؛ هذا التيار الكهربائى لا يمكن أن يظهر أثره فى الإضاءة ، إلا إذا كان المصباح المتصل به فى حالة سلامة صالحة لتحويل هذه القوة الكهربائية إلى ضوء ساطع .

ومن هنا ينشأ الخطر من تضارب الثقافات فى أمة واحدة ، لم تصل بعد إلى حد النضوج الفكرى ، فتقرر أى الثقافات تتقبل . وإذا كان هذا التضارب متعادلا وقف تيار الحضارة فى هذه الأمة ، وقاسى الشعب نتيجة هذا التضارب ، من غير نتيجة مباشرة ؛ كالمريض فى دور النقه . فهو بين قوتين : قوة الميكروب وقوة المناعة الطبيعية . وأيهما ينتصر كان له الظفر .

وتعارض الثقافات وعدم تجانسها فى أى أمة يستولى على دور من التاريخ ، يسمى دور الانتقال ، تعانى الأمم فى خلاله ما تعانى ، ويتوقف طول هذا الدور وقصره على تعادل قوتى الثقافتين ، أو قوة إحداهما وضعف الأخرى .

هذه المقدمة ضرورية لفهم الموضوع الذى بين أيدينا ، لأنها توضح لنا أن انتصار ثقافة ضد أخرى معناه إحياء حضارة ، وإضعاف أخرى ، أو تغلب عنصر حضارىٍّ على عنصر آخر .

نعود إذاً إلى القضية فنرى أمامنا أساسين : الأساس العربى ، والأساس الفرعونى .

ولكن دعنا نختبر - أولا - كلا من هذين الأساسين على حدة ؛ ولكى نستطيع أن نصل إلى نتيجة واضحة يصح أن نجيب عن الأسئلة الآتية :

ما المقصود بالحضارة العربية ؟ أهى عربية جاهلية ، أم عربية إسلامية ؟ وهل ما نسميه حضارة عربية هو ما أنتجته قرائح العرب المسلمين ، أو المسلمين غير العرب ، أو كليهما جميعا ؟

من الضرورى أن نعرف هذا أو لا وقبل كل شىء ؛ لأن أخذ الأشياء على ظواهرها قد يقود إلى نتائج غير سليمة .

لم يكن للعرب قبل الإسلام حضارة الفرس ، ولا مدنية الرومان ، ولا

فلسفة اليونان . ولم تكن عوامل الثقافة بينهم قد نمت ـ اللهم إلا الشعر الذى أنتجوا فيه مالم تنتجه أى أمة من قبل من حيث الكم ـ وما كان عندهم من علوم كعلم النجوم أو التنجيم هو مستعار من الكلدانيين أو البابليين ، ولم يكن حينئذ علما ثابت القواعد ، وإنما هو نتيجة التجربة والتخمين ، وكانت عندهم علوم أخرى هى إنتاج البادية كالكهانة والعرافة والقيافة ، وليس صحيحا أن تسمى هذه علوما ، وقد عرفوا شيئا من الطب نقلوه عن الكلدانيين ، وكانت عندهم طريقتان للتطبيب : طريقة الكهان والعرافين ، وطريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر ، أو بذبح الذبائح فى الكعبة ، والدعاء فيها أو بالتعزيم . أما المعالجة العقّارية ، فكانت بتعاطى بعض المواد كالعسل ، أو بالجراحة كالحجامة والكى ، أو بتر بعض الأعضاء .

وكان علم الأنساب موضع عنايتهم ؛ لحرصهم على الانتماء إلى قبائلهم ، والمحافظة على شرف القبيلة ، لأن نظام القبيلة كان أساس النظام الاجتماعى عندهم .

وإلى أن جاء الإسلام لم يكن العرب مصدرا للحضارة ، كما كان اليونان والرومان والفرس والهنود ، ولم تكن لهم فلسفة اجتماعية راقية . ولم تمهد لهم عيشتهم الصحراوية أن ينتجوا فى غير ميدان الشعر .

فلما جاء الإسلام وثبتت قواعده فى أيام الخلفاء استتبع التوسع فى نظام الحكم ، واتساع النفوذ الإسلامى وجود علوم أخرى ، كعلم الحديث ، والقراءات ، والتفسير والنحو . غير أننا نلاحظ أن كثيرا ممن عنوا بهذه العلوم ، كانوا من غير العرب : فوهب بن منبه من أقدم رواة الحديث ، وأصحاب التفسير وهو فارسى الأصل . ونافع القارىء ديلمى . ومن أكبر الفقهاء وأقدمهم الحسن بن الحسن ، ومحمد بن سيرين . وعطاء بن رباح ، ومجاهد وسعيد ابن جبير ، وسليمان بن يسار ، وكلهم من الموالى أى غير العرب .

وكذلك الحال فى علوم اللغة ، فإننا نجد أن معظم الذين اشتغلوا بها كانوا من العجم : كحماد الراوية وهو ديلمى ، والخليل وسيبويه والأخفش والعباس والزجاج وغيرهم من الفرس .

أما العلوم الدخيلة: وهى الفلسفة والمنطق والرياضيات، فالمشتغلون بها للعرب، هم من غير العرب وغير المسلمين - هذا طبعا فى بدء الإسلام - لأن العباسيين لما أرادوا نقل كتب اليونان والفرس والهنود إلى العربية اتخذوا عارفى هذه الألسنة من الكلدان والسريان والفرس وغيرهم لنقلها، وأكثرهم من غير المسلمين.

وكلنا يعرف عناية المنصور بترجمة كتب النجوم؛ بوساطة نوبخت المنجم الفارسى، وقد كان مجوسيا وأسلم على يديه. والمنجم على بن عيسى الأسطرلابى. كما أمر بترجمة بعض كتب الطب من اليونانية والسريانية على يد جورجيس بن بختيشوع السريانى، وحذا المهدى والرشيد حذو المنصور، فأصبحت بغداد مركزا للعلوم الدخيلة التى يقوم بدراستها الأطباء والعلماء من السريان والفرس والهنود المسلمين وغير المسلمين، وشجع المأمون الفلسفة والمنطق، وهما علمان يونانيان، وأمر المأمون أيضاً بنقل فلسفة أرسطو، وفلسفة أفلاطون الجديدة.

وكان السريان فى كل هذه الأدوار هم المترجمين والمشتغلين بالعلم والفلسفة والطب، كما شاركهم فى هذا الفرس والهنود ثم العرب أخيرا.

وإليك أشهر نقلة العلم فى العصر العباسى:

(١) آل بختيشوع وهم من السريان النساطرة. وقد ولى الرشيد ابن بختيشوع رياسة الأطباء، وخلفه فيها ابنه جبريل.

(٢) آل حنين وهم من نصارى الحيرة.

(٣) حبيش بن الحسن الدمشقى، وهو ابن أخت حنين بن اسحاق.

(٤) قسطا بن لوقا البعلبكى، وهو من نصارى الشام، وكان طبيبا حاذقا.

(٥) آل ماسرجويه وهم يهوديو المذهب.

(٦) يحيى بن البطريق.

(٧) ابن المقفع.

(٨) آل نوبخت.

وغير هؤلاء كثيرون ممن خدموا فى الدولة العباسية، وقد كانوا قادة الثقافة

فى أول الفتح الإسلامى ، ومن مترجماتهم : كتاب السياسة الذى نقله حنين بن إسحاق، وكتاب المناسبات ونقله يحي بن عدى ، وكتاب أصول الهندسة وترجمه قسطا بن لوقا ، وكتاب البرهان والجدل فى المنطق ، ونقله من اليونانية إسحاق بن حنين ، وكتاب عهد أبقراط ، وكتاب طبيعة الإنسان ، وكتاب إقليدس فى الهندسة ، وكتاب أرشميدس ، وكتاب فلسفة أفلاطون ، والفلسفة الأفلاطونية الحديثة. كما ترجم الفرس كثيرا من المؤلفات القيمة ، ككتاب كليلة ودمنة ، وكتاب مزدك ، والتاج فى سيرة أنو شروان ، والأدب الكبير ، والأدب الصغير .

وليس المقام هنا مقام حصر الكتب التى ترجمت إلى العربية ، وإنما نريد أن نقرر حقيقة ، وهى أن الذين قاموا بالحركة العلمية والثقافية فى بدء الفتح الإسلامى كانوا من غير العرب ، ومن غير المسلمين أيضاً ، وأنهم نقلوا إلى العربية مالم يعرفه العرب من قبل .

على أن هذا ليس من الأمر فى شىء ، فكما قلت فى مطلع المحاضرة : إن للثقافة قوة معنوية قد تكون كامنة فى نفوس أصحابها تترقب الفرصة المتاحة ، والظروف المناسبة ؛ لتظهر أثرها ، وتعبر عن وجودها .

والعرب قاموا بالدعوة للإسلام ، وفتحوا الفتوح ، وهم أهل بادية أميون ، فانصرف همهم فى بدء الدعوة إلى نشر الدين ، وإنشاء دولتهم مما لا يحتاج إلى علم . وإنما كانت حاجتهم من العلم إلى القرآن الكريم ، يدعون الناس به إلى الإسلام . ولم يمض على ظهور الدعوة بضع وعشرون سنة ، حتى فتحوا الشام والعراق ومصر وفارس وإفريقية وغيرها . والمسلمون العرب يومئذ هم الجند الفاتح ، وكانوا قليلين بالنظر إلى ذلك الملك الواسع ، فضلا عمن قتل منهم فى الحروب والفتن ، فأصبح همهم الاشتغال بالسياسة فى الجند والحكومة ، ونظرا لفطرتهم الخيالية انصرفت قرائحهم إلى الاشتغال بالشعر والخطابة والأمثال — وهى آدابهم فى الجاهلية ـ ولما لم تكن لهم خبرة باللغات ، وكانوا شغوفين بمعرفة علوم غيرهم من الأمم وآدابها ، لم تكن هناك وسيلة غير تشجيع أولئك المترجمين ، وتقريبهم إليهم بالمناصب والعطايا ، حتى يؤدوا رسالتهم بأمانة وإخلاص ، وقد وجدت هذه العلوم المترجمة فى الثقافة العربية موطناً خصيباً فنمت وأينعت ثمارها

ورحبت عناصر الثقافة الثلاثة: اللغة والدين والخلق - كما ذكرنا - بهذا النوع الجديد من الحضارات المختلفة؛ فهضمت الثقافة العربية هذه الحضارات الغريبة، وحولتها إلى الصورة التى تتفق وطبيعة العصر، وروح الأمة الناهضة، وصبغتها بصبغة مميزة لها هى الصبغة العربية.

ولا نريد أن نقول إن العرب استطاعوا أن ينقلوا جميع العلوم إلى لغتهم، وإنما جاء العرب والعلوم مزهرة لدى اليونان والفرس والكلدان والهنود وغيرهم، ممن دانوا لهم، وأظلتهم راية الإسلام، فأخذ العرب من علوم هؤلاء جميعا؛ ولذلك كان من فضل الإسلام على التمدين أنه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية، ونقلها إلى العربية وزاد فيها، حتى نضج العلم على اختلاف فروعه، وأثمر، ونبغ العلماء والفقهاء والأطباء والفلاسفة فى ظل الإسلام وظل العربية، وهذا ما نقصده حينما نقول «الحضارة العربية».

أما الحضارة الفرعونية فقد يكون من العبث أن نحاول هنا أن نعطى وصفا كافيا، لما وصلت إليه من ارتقاء وسمو، مما تقف أمامه الحضارات الحديثة باهتة متسائلة: ما هو السر السحرى الذى استطاع به الفراعنة أن ينتجوا فى فجر التاريخ هذه العظمة فى الفن؟ وكيف اهتدوا إلى هذا السر، وأى خبرة كانت عندهم بقوانين العلم، وقواعد الفن نسيها التاريخ فلم تصل إلينا؟

ولكى أعالج موضوع الحضارة الفرعونية على النحو الذى اتبعته فى معالجة موضوع الحضارة العربية، أرى أن أبدأ بعناصر الثقافة الثلاثة: اللغة والدين والخلق.

وقد يكون غير ضرورى هنا أن أتعرض للصورة التى كانت عليها لغتهم، وكيف كانوا يتكلمون أو يكتبون، أو لقواعد لغتهم وتراكيبها، ولأن هذا ليس فى طوقى. وإنما يهمنا أن نعرف أن لغة الفراعنة قد أصبحت لغة تاريخية، بين اللغات، تدرس لكشف مخلفات أصحابها العلمية والأدبية والعمرانية فقط. ولا يعرف المؤرخون الحديثون كيف كانت تنطق، ولم يصل إلينا أى سجل تاريخى، يرشدنا إلى مخارج الحروف، وصنع العبارات عند قدماء المصريين.

وإذاً فسواء أرضينا، أم غضبنا لا مجال لإحياء لغة الفراعنة؛ لكى تكون لغة

أدب ومحادثة ، ولكى تكون عنصرا من العناصر الثلاثة التى تبنى عليها الحضارة المصرية الحديثة ، ولكن يجب أن نذكر أن اللغة الهيرغليفية كانت لغة أدب جم ، وفلسفة ، وعلم واسع ، تناولت الفلسفة السماوية ، والفلسفة الدنيوية ، ووصفت العاطفة والخيال والشئون اليومية العادية . وفى هذا الموضوع يقول أحد المؤرخين المعاصرين من الفرنجة :

« لقد اتضح أخيرا فقط ، أن قدماء المصريين قد حفظوا لنا لغة ذات أدب دينى ودنيوى معا ، تلك اللغة التى سمت فى عبارتها وأسلوبها عما عهدناه فى كتاب الموتى ، لغة جديرة بأن تذكر بجوار اللغات العالمية الناضجة ، كالعربية والهندية . وقد حوت الهيرغليفية كثيرا من فروع الآداب ، كالأساطير العجيبة ، والرسالات العلمية ، والمناظرات الخلقية ، والمناجيات اللاهوتية ، وغير ذلك من الموضوعات الفكهة . »

ولا يتسع المجال هنا للإطناب فى وصف الأدب الفرعونى ، ولا للتعرض لنوعى الشعر والنثر ، وإنما اخترت القطعة الآتية ؛ لترينا نوع الخيال الشعرى لدى قدماء المصريين وسموه : —

« ها هى ذى محبوبتى بعيدة عنى ، بينى وبينها نهر ، والتمساح هناك منبسط على رمال الشط ، فعند ما أعبر النهر إليها أجدنى أمشى على الماء ، فيختلط الدم الناضح من قلبى بهذا الماء ، ويخيل الى أن الماء قد جمد ، وأصبح فى صلابة الأرض . إن هناك محبوبتى ، وهذا ما يلهمنى الشجاعة لعبور النهر ! لقد سحرت الماء ! أراها تدنو وأدنو أنا منها أيضا ، وذراعاى مبسوطتان لمعانقتها ، وقلبى يعود إلى موضعه حينما أحتضن محبوبتى . »

أما العنصر الثانى ، وأعنى العنصر الدينى فيظهر أن الديانات قد وصلت أسمى درجات الارتقاء فى العصر الحاضر ، ولذا فإننا نجد ديانات قدماء المصريين — بالرغم من أن تعاليمها كانت سامية — لا تتناسب مع التفكير البشرى الحاضر . ولا يحاول العقل الإنسانى إحياءها ، وإذاً . فقد محا التاريخ هذا العنصر الثقافى ، واستعاض عنه الديانات السماوية المعروفة الآن ، والتى يكوّن كل منها عنصراً جوهريا فى الحضارات الحديثة .

أما العنصر الثالث وهو العنصر الخلق ، فقد كان ولا يزال تابعا للعامل الدينى ، ونتيجة للتقاليد وللعرف الزمانى والمكانى ، فالأخلاق هى فى الواقع وليدة الديانات والتقاليد ، ولذلك نرى عادات قدماء المصريين مرتبطة بتعاليمهم الدينية ؛ فمن المعروف مثلا ، أن قدماء المصريين . كانوا مغرمين بالرقص والشرب ، والغناء والموسيق . وكانوا يعتقدون فى الخرافات ، والسحر ، وكان الرق عندهم مباحا ، ولم تكن الرعية فى نظر الملوك إلا عبيدا وخدماً ، وقد أباحوا أيضا تعدد الزوجات من غير قيد . كما يزعم بعض المؤرخين أنهم أباحوا زواج الأخوات .

وعلى أية حال فالمقصود بالعنصر الخلق ما يسمى بالإنجليزية Moral outbook ويدخل ضمن هذا أيضاً The moral and ethical standa d

والتاريخ والاجتماع يؤيدان أن هذا العنصر الثالث من عناصر الثقافة، لم يصل إلينا من قدماء المصريين سالما خالياً من كل دخيل؛ لأننا نعرف أن زوال الحضارة الفرعونية، وزوال دولة الفراعنة، وتتابع الحكم الأجنبى على مصر، وتقبل الشعب لصور مختلفة من الحضارات الغريبة ـ كل هذا قضى على العنصر الثالث من عناصر الثقافة الفرعونية .

غير أن الحضارة المادية ـ حضارة الفراعنة ـ وإن كانت قد دفنت ؛ وظلت فى طوايا النسيان عشرات القرون ثم اكتشفت ، فإن كشفها لم يساعدنا على إحياء الثقافة ، لأن ثقافة أخرى أقوى وأنسب قد توطنت ، وتوطدت أركانها فى الشعب .

وإذاً ، فلم يبق أمامنا إلا حضارة قدماء المصريين — لا ثقافتهم — للتقليد والاقتباس؛ أعنى الحضارة المادية لا الثقافة المعنوية ؛ لأن الثقافة قد انتهت، وأصبحت تاريخية كما شرحت .

أما الحضارة فهى ماثلة فى فن العمارة والبناء ، وفى فن النحت والتصوير ، وفى علم الكيمياء والتحنيط ، وفى صناعة المعادن والذهب والحلى . فى كل هذه المخلفات التى يجوز لأى أمة — كما يجوز لمصر — أن تقلدها متى وجدت وسيلة إلى ذلك.

يخيل إلى — أيها القارىء الكريم ـ أنا قد وصلنا إلى النتيجة ، فأمامنا الآن

الحضارة المصرية الحديثة ، وهى ولا شك تعتمد على ثقافة ، فإذا حللنا هذه الثقافة إلى عناصرها الثلاثة : اللغة والدين والأخلاق . وجدنا العنصر الأول عربياً ، والثانى إسلامياً ، والثالث إسلامياً عربيا ، فلم يبق إذاً أمامنا سبيل إلى الاختيار .

غير أن سائلا يقول : ولم البقاء على هذه الحال ؟ والثورات الفكرية والدينية والسياسية قديرة على تغيير هذه العناصر الثقافية ، واتخاذ عناصر أخرى لثقافة جديدة ، تكون نواة لحضارة جديدة . ولكن مهلاً أيها السائل . احذر أن تخلط بين الحضارة والثقافة . فمن الممكن والجائز أن تختار من الحضارات ماتراه أصلح لروح العصر ، وطلبات الزمن ، على أن تصبغ هذه الحضارة بصبغة ثقافتك ، وعلى أن تنفث فيها من روح لغتك ودينك وخلقك ؛ لأن ضياع ثقافة أمة هو ضياع الأمة وحياتها وكيانها ، ولأن الأمة التى تتهاون فى عنصر من عناصر ثقافتها تفقد ركنا من أركان حياتها وحيويتها ، وعاملا من عوامل قوميتها ، وليس معنى هذا أنها تتقهقر ماديا ؛ وإنما تهوى أدبيا ومعنويا .

إن الثقافة المشتركة هي أم العاطفة (Sentiment) فهى التى تربطنى بالعراقى والشامى والحجازى والمغربى ، وهى التى تجعلنى أشعر بالأنس حينما أهبط العراق أو فلسطين أو تونس ، كما أنها تشعرنى بالوحدة حينما أهبط لأول مرة مملكة أوروبية ، أو أى مملكة أخرى لا تربطنا بها رابطة الثقافة .

إن هذه العوامل الثقافية الثلاثة التى أشرت إليها هى التى تغذى العاطفة المتبادلة بين ممالك الشرق الأدنى ، وإضعاف أى عامل من هذه العوامل يتبعه إضعاف العاطفة المتبادلة ، والروابط المشتركة .

يقولون : إن تركيا قد كسبت وتقدمت حضارتها المادية ، منذ ثورتها الوطنية ، ومنذ أن حاولت القضاء على بعض عناصر الثقافة المشتركة بينها وبين الممالك العربية — أعنى تغيير الحروف العربية إلى حروف لاتينية ، واستبدال نظام الاجتماع بنظام آخر — ولكنى أعتقد أن تركيا قد خسرت خسارة كبرى هى عطف هذه الممالك العربية وحدبها عليها ، ومعاونتها إياها فى أوقات الشدة ، وإن تركيا لتشعر بهذه الوحدة ، وبأنها قد فقدت صديقاتها التى لا تجد الآن عنهن بديلا .

إن الشعوب الأوربية - أيها القارئ - لتتلمس تقوية عناصر الثقافة - كلها أو بعضها - بكل وسيلة، فتعمل على نشر لغتها وآدابها، ومذاهبها الدينية والخلقيه؛ لتضمن بذلك أنصاراً وأصدقاء، ولتحتفظ بسلامة كيانها: فألمانيا تعلن حقها الطبيعي في تكوين الإمبراطورية الجرمانية على أساس واحد. هو أساس الثقافة المشتركة. وايرلندا تحاول التخلص من الحكم البريطاني، لا لأن حضارة إيرلندا غير حضارة انجلترا، بل لأن الثقافتين مختلفتان فلا يمكن تجانسهما، وإذا فلا يمكن تعاون الأمتين.

إن مركز مصر لجدير أن يستغل؛ لأنها تعتبر في طليعة شعوب الشرق الأدنى، ونظرة الممالك العربية إليها نظرة حب وعطف واحترام؛ فإن هي أرادت أن تبقى على هذا الحب والعطف والاحترام فلتبق إذاً على الثقافة العربية، التي تربطها بهذه الشعوب، ولتجعل الثقافة العربية أساساً لحضارتها الحديثة.

عبد العزيز أمين عبد المجيد

ملكتا الجمال العربى فى صدر الإسلام[1]

بقلم على الجندى
المدرس بسوهاج الثانوية

— ٢ —

تحدثنا فى العدد الثالث من السنة الثالثة عن إحدى ملكتى الجمال العربى فى صدر الاسلام ، السيدة عائشة بنت طلحة القرشية التيمية ، وحديثنا فى هذا المقال عن ملكة الجمال الثانية ، أو على الأصح ملكة الملاحة[2] السيدة سُكينة بنت الحسين القرشية الهاشمية .

اختلف فى اسمها فقيل : أَمِيمة ، وقيل : أمينة ، والصحيح : أن اسمها : آمنة ، وسُكينة : لقب لها .

وأبوها غنى عن التعريف ، فهو سبط الرسول وريحانته ، وسيد شباب أهل الجنة ، أبو عبد الله الحسين بن على - رضى الله عنهما - أما أمها ، فهى الرباب بنت امرىء القيس الكلبى . كان نصرانيا فوفد على عمر بن الخطاب يريد الإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه ، وتوسم فيه عمرُ الخير ، فعقد له من فوره على من أسلم من قضاعة بالشام ، فقفل الشيخ واللواء يخفق على رأسه ، فقال عوف بن خارجة : ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أُمِّرَ قبله على جماعة من المسلمين !! . ونهض على بن أبى طالب ، ومعه ابناه الحسن والحسين ، فأخذ بثيابه وقال : ياعم ، أنا على ابن أبى طالب ابن عم الرسول وصهره ، وهذان ابناى من ابنته ، وقد رغبنا فى مصاهرتك فزوجنا ، فقال الرجل : قد زوجتك يا على ، المحياة بنت امرىء القيس ، وزوجتك يا حسن سلمى أختها ، وزوجتك يا حسين الرباب أختهما .

---

(١) راجع المقال الأول المنشور بالصحيفة : العدد الثالث من السنة الثالثة .
(٢) انظر الفرق بين الجمال والملاحة لدى الأقدمين فى مقالنا السالف .

وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، محببة إلى الحسين مكينة عنده ؛ تقول سكينة : عاتب عمى الحسن ، أبى فى أمى ، فقال :

لعمرك إننى لأحب داراً تحل بها سكينةُ والرباب
أحبهما ، وأبذل جل مالى وليس لعاتب عندى عتاب
ولست لهم ـ وإن غابوا ـ مضيعاً حياتى أو يغيبنى التراب

وقد خطبت بعد مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ فقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورثته بهذه الأبيات :

إن الذى كان نورا يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحة عنا ، وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلا صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرُّحْم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغنى ، ويأوى إليه كل مسكين ؟

كانت سكينة كضرتها عائشة رائعة الجمال ، كما كانت أحسن النساء شعرا ، وكانت تصفف جمتها [1] تصفيفا مبتكرا لم ير الناس أبدع منه ، فأصبح ذلك مثالا يحتذيه النساء والرجال على السواء ، وكانت تلك الجمة تسمى (السكينية)

وقد بلغ من ذيوعها وافتتان الناس بها ، أن عمر بن عبد العزيز حرمها على الجنس الخشن ! فكان إذا رأى رجلا يصفف جمته (السكينية) حلقه وجلده .

وقد وفر الله على سكينة جمالها وصانه من كل شائبة ، إذ حدث أن خرجت لها سلعة [2] بأسفل عينها تهدد بالشر المستطير ، فعمل لها (درافيس) المتطبب ـ وكان منقطعا إليها ـ عملية جراحية دقيقة فبرئت منها ، وبقى أثر الحزازة فى مؤخر عينها ، فكان أحسن فى وجهها من كل حلى وزينة . ومن قولها ـ تباهى بحسنها : دخلتُ على مصعب بن الزبير وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرة .

جمعت سكينة كل ما يتطلبه الرجل فى المرأة من جمال ومال وحسب ودين .

---

(١) الجمة : الشعر الذى يبلغ المنكبين .

(٢) السلعة : بكسر السين زيادة تحدث فى البدن كالغدة تتحرك إذا حركت ، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة .

فتهافت على بابها الخاطبون من سروات العرب ، فتزوجها على ترتيب بعض الروايات، ابن عمها عبدالله بن الحسن ، ومصعب بن الزبير ، وعبدالله بن عثمان الخزامى ، وزيد ابن عمر بن عثمان بن عفان ، والأصبغ بن مروان . وكان هذا الأخير يتولى مصر ، فكتب إليه أخوه عبد الملك : اختر مصر أو سكينة ، فبعث إليه بطلاقها مكرهاً ، ولم يدخل بها ، ومتعها بعشرين ألف دينار . ولا شك أن للسياسة دخلا فى هذا الطلاق ، فقد كره عبدالملك أن يصهر أخوه إلى بنى هاشم خصوم الأمويين ، كما ساءه من قبل أن يتزوج خالد بن زيد بن معاوية رملة بنت الزبير وآل الزبير أعداء بنى أمية ؛ ولهذا السبب عينه رأيناه يرغم عامله الحجاج على طلاق ابنة عبدالله ابن جعفر بن أبى طالب ، ويؤنبه أشد التأنيب .

ثم تزوج سكينة ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وطلقها كذلك قبل الدخول ، وقد رزقت من مصعب بنتا أراد أن يسميها : ثريا ، فأبت إلا أن تسميها باسم جدتها : الرباب ، وكانت بارعة الحسن كأمها . تقول : سعيدة بنت عبدالله بن سالم : لقيت سكينة بين مكة ومنى ، فاستوقفتها ورأيت ابنتها ، فإذا هى قد أثقلتها بالحلى والجواهر ، فقالت لى : ما ألبسته إياها إلا لتفضحه ، تريد أنها أحسن من الحلى الذى تلبسه .

وكان فى سكينة مشابهة بينة لعائشة بنت طلحة ، وبخاصة فى الإدلال على الأزواج . كانت تحب زوجها مصعبا حبا جما ، ويأبى لها الكبرياء أن تظهر هذا الحب ! فلما كان اليوم الذى قتل فيه ، دخل إليها فنزع ثيابه ، ولبس غلالة وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت سكينة أنه لا يريد الرجوع ، فصاحت من خلفه : واحزناه عليك يامصعب ، فالتفت إليها قائلا : أوكل هذا لى فى قلبك ؟ فقالت : إى والله ، وما أخفى أكثر ! فقال : أما لو كنت أعلم أن هذا كله لى عندك ، لكان لى ولك شأن ، ثم خرج ولم يرجع - رحمه الله -

وكان من شروطها على زيد بن عمر بن عثمان ألا يمنعها سفراً ، ولا مدخلا ولا مخرجا ، وألا يخالفها فى أمر تريده ، وأن يقيمها حيث صاحبتها (أم منظور) وكانت تقول له : يا عثمانى ، اخرج بها إلى مكة ، فإذا سار يوما أو يومين قالت :

رجع بنا إلى المدينة ، فإذا رجع يومه ذلك ، قالت : اخرج بنا إلى مكة . ولكن من الإنصاف أن نقول : إن هذا الدلال المسرف والتجنى المفرط ، لم يمنعها أن تكون وفية لأزواجها ، شديدة الحرص على كرامتهم ، ورعاية منزلتهم ، فقد حدث أن جفاها زوجها العثمانى ، فغناه خادمها أشعب بهذا الشعر :

علق القلب بعض ماقد شجاه من حبيب أمسى هوانا هواه
ماضرارى نفسى بهجران من ليس م مسيئا ولا بعيدا نواه
واجتنابى بيت الحبيب وما الخلد م بأشهى إلىّ من أن أراه

فقال الزوج المتيم : ماعدوت مابنفسى يا أشعب ، وأعطاه حلته . فلما علمت سكينة بذلك ، كبر عليها أن يلبس أشعب حلة زوجها . فقالت له : وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان ؟ لا والله ولا كرامة . فاشترتها منه بثلاثمائة دينار . ولما قتل زوجها مصعب ، خطبها عبد الملك بن مروان ، فقالت : والله لا أتزوج قاتل زوجى أبداً .

وقد ورثت سكينة من بنى هاشم خصائص نعرفها فى هذا البطن من قريش : فكانت سخية مسرفة فى السخاء ، تنثر العطايا والصلات على الشعراء والمغنين ، وذوى الحاجات بغير حساب ، ويكفى للدلالة على احتقارها المال أنها كانت ترمى الجمار . فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها ، ولا يدرى إلا الله كم يبلغ ثمنه !

وكانت شجاعة جريئة ، تتحدى حكام عصرها ولا تباليهم ، فكانت تجىء يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء خالد بن عبد الملك بن الحارث الأموى ، فإذا سب عليا (كرم الله وجهه) سبته هى وجواريها ، فكان يأمر الحراس بضرب جواريها ، ولا يتعرضون لها .

وكانت قوية الشكيمة ، صلبة العود ، شديدة اللدد والخصومة ، ومن آثار ذلك أن زوجها زيد بن عمر خرج مغاضبا لها ، فأقام مع جواريه سبعة أشهر بعيداً عنها ، فاستعدت عليه عمر بن عبد العزيز ، والى المدينة إذ ذاك ، فأمر ابن حزم أن يقضى بينهما . فلما حضرته أراد أن يدخلها وحدها ، فأبت إلا أن يكون معها

جواريها، فأدخلن معها ، فقالت: ياجارية ، ائتى لى هذه الوسادة ، فجلست عليها وزوجها لاصق بالسرير يكاد يدخل فى جوفه خوفا منها ، فقال لها ابن حزم: يابنة الحسين ، إن الله يحب القصد فى كل شىء . فقالت : وما أنكرت منى؟ والله إنى وإياك لكالذى يرى الشعرة فى عين صاحبه ، ولا يرى الخشبة فى عينه . فقال: لو كنتِ رجلا لسطوت بك . فقالت : لا تزال تتوعدنى . واشتد بهما اللجاج ، فقال ابن أبى جهم العدوى - وكان حاضرا - مابهذا أُمِرْنا فامض الحكم ولا تشاتم . فقالت لمولاة لها : من هذا ؟ قالت : ابن أبى الجهم . فقالت سكينة : لاأراك هنا ، وأنا أشتم بحضرتك ، وهتفت برجال من قريش ، فغضب ابن أبى الجهم واشتد عليها ، فقالت : أما والله لو كان أصحابى بالحيرة أحياء لكفوا العبد اليهودى عن شتمى ، إياى - عدو الله - تشتم وأبوك الخارج مع اليهود ضنانة بدينهم ، حين أخرجهم رسول الله إلى أريحاء ؟ . ثم خضع لها زوجها زيد وترضاها ، فقالت : ماأعرفنى بك يازيد ! أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر ثم أعود إليك ؟ ثم خرجت ، والقاضى ابن حزم معقود اللسان لا يفوه بكلمة . وكان عمر بن عبد العزيز ينتظر وسط الدار فى ليلة شاتية ، فلما بلغته القصة ظل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم دعا بزوجها من الغد فأحلفه وردها عليه ، ولكن النزاع لم ينقطع بينهما ، فكتب إليه سليمان بن عبد الملك : إنى أعلم انك قد شرطت لها شروطا ، فإن لم تف بها فطلقها ، فطلقها زيد .

وكانت سمحة البديهة، قوية العارضة، ملهمة الإجابة ، تذكرنا أجوبتها المفحمة الصارمة بأجوبة جدها على ، وعمها الحسن ، وابن عباس ، فى نقاشهم خصومهم من بنى أمية وغيرهم . فمن طريف ذلك : أنها كانت يوما فى مأتم فيه بنت لعثمان بن عفان ، فقالت بنت عثمان : أنا ابنة الشهيد ، فسكتت سكينة حتى قال المؤذن ... وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالت لها : هذا أبى أم أبوك ؟ فانقطعت العثمانية وقالت : لا أفخر عليكم أبدا .

ومن ردودها القاتلة : أنها خرجت بعد مقتل مصعب تريد المدينة ، فأطاف بها أهل الكوفة قائلين : أحسن الله صحابتك يابنة رسول الله ، فقالت لهم :

لاجزاكم الله عنى خيرا ، ولا أخلف بخير عليكم من أهل بلد ! قتلتم أبى، وجدى، وعمى، وزوجى ، وأخى ، فبأى وجه تقابلوننى ؟ أيتمتمونى صغيرة ، وأرحلتمونى كبيرة !! .

ومن كلماتها التهكمية اللاذعة : أنها أنشدت يوما أبياتا لعروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا ، فلما انتهت إلى قوله :

عَلى بكرٍ أخى ولى حميدا وأى العيش يحسن بعد بكر؟

قالت : ومن أخوه بكر ؟ أليس هو الدحداح الأسيِد القصير ، الذى كان يمر بنا صباحا ومساء ؟ قالوا لها : نعم . فقالت : كل العيش والله يحسن بعد بكر ، حتى الخبز والزيت .

وكانت سكينة بعد ذلك كله ذكية أريبة ، صادقة الفراسة ، دقيقة الملاحظة ، بارعة فى انتزاع التشبيهات ، يقول ابن الماجشون : نظرت إلى سكينة ، فقالت : كأن هذا الرجل الماجشون . ـ والماجشون صِبغ أصفر تخالطه حمرة ـ فغلب علىّ هذا اللقب ، وعرفت به ! .

ونظرَت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب ـ وكانت فيه جهامة ـ فقالت : هذا الرجل فى قريش كالشيرج[1] فى الأدهان . فكان بعد ذلك يسمى (فلان شيرج) بل يقال : إنها مالقبت أحدا لقبا إلا لصق به ، لايفارقه حتى الموت .

وهناك ناحية من أخصب نواحى سكينة ، وهى ناحية الظرف والفكاهة ، فقد كانت موسومة بالدعابة البارعة والمفاكهة المستملحة ، حتى لقد استرعى ذلك أذهان الناس ، فقيل لها : يا سكينة ، أنت تمزحين كثيرا ، وأختك فاطمة لاتمزح . فكان جوابها ضربا من هذا المزاح الذى لايفارقها ، قالت : لأنكم سميتموها فاطمة باسم جدتها المؤمنة ، وسميتمونى آمنة باسم جدتى التى لم تدرك الإسلام .

ومما يدل على أن هذا المزح طبيعة فيها أن دبرة[2] لسعتها فى صغرها فآلمتها ، فقالت لها أمها : مالك يا سيدتى ؟ فقالت سكينة : لسعتنى دُبَيرة ، مثل الأُبَيرة ، أوجعتنى قطيرة ! وهذا الجواب الشعرى ينظر من كثب إلى قول عبدالرحمن بن حسان ـ وقد لسعه زنبار ـ فقال لأبيه : لدغنى طائر ، كأنه ملتف فى

(١) الشيرج : ماتسميه العامة : السيرج ، وهو دهن السمسم (٢) نحلة

بُردى حِبَرَه ! فقال حسان : هذا شعر ورب الكعبة .

ومن نوادرها الطريفة فيما نحن بسبيله ، أنها وقفت على عروة بن أذينة ـ وكان من جلة العلماء والصالحين ـ فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحشاء تتقد ؟

فقال نعم . فالتفتت إلى جواريها وقالت : هن حرائر، إن كان هذا خرج من قلب سليم .

وهى فى دعابتها الفاشية لا تقف عند حد ، فتراها مرة تعبث بأولى الأمر فتقيمهم وتقعدهم . غير حافلة بما يكون : أرسلت مرة إلى صاحب الشرطة : أن دخل علينا شامى ! فابعث إلينا بالشرط ، فأتى رئيس الشرطة ففتحت له ، وأمرت جارية من جواريها أن تخرج له برغوثا ، وقالت : هذا هو الشامى الذى شكوناه إليك ، فانصرفوا وهم يضحكون . وتراها مرة أخرى تحدث بدعابتها فتنة تكاد تلتهم الأخضر واليابس ، وهى تشاهد ذلك وادعة ساكنة ، كأن الأمر لا يعنيها : حدث أن خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فردته أقبح رد ، وفى ذات يوم تنهدت جاريتها بنانة تنهدا عميقا ، فقالت لها : ويلك ! مالك ؟! فقالت الجارية : أريد أن أرى فى هذا البيت جلبة ، أى عرسا ! فأرسلت سكينة من فورها إلى ابن عبد الرحمن بن عوف الذى خطبها فردته ، وأظهرت رضاءها به ـ وهى فى نفسها غير راضية ـ فأحضر الزوج نحو ثمانين رجلا من بنى زهرة ، وغيرهم من أعيان قريش ، فلما سمع بذلك بنو هاشم غضبوا غاية الغضب ، وجاءوا بعصيهم ، وتضارب الطرفان ، فبطل العرس . وشج أكثر من مائة إنسان ! وحين انصرف الجمع التفتت إلى جاريتها قائلة : أى بنانة ، أرأيت جلبة ؟ قالت : إى والله ولكنها شديدة .

وكانت إذا غضبت على خادمها أشعب ، حكمت عليه أن يموء كالهرة ، أو يقرقر كالدجاجة . يقول رجل من قريش : دخلت منزل سكينة ، فإذا أنا بأشعب تحت سرير يقرقر كالدجاجة ، فجعلت أنظر وأتعجب ، فقالت : مالك تنظر إليه ؟ إنه لخبيث

أفسد علينا أمورنا بغباوته ، فحضنته بيض دجاج ، وجعلته تحته ، وأقسمت ألا يقوم حتى ينقُف . وكان للفرزدق دالة عليها لتشيعه للعلويين ، فغضبت عليه ذات مرة ، وحلفت ألا يدخل إليها حتى يشيب الغراب ! فأراد الفرزدق أن يترضاها بنوع من الدعابة التى تحبها ، فدخل إليها ، وجعل أمامه نصيبا الشاعر - وكان أسود البشرة ، أشيب الرأس - فقالت سكينة : أخزاك الله ، وكيف أصنع بيمينى؟ فالتفت الفرزدق إلى نصيب قائلا : هذا هو الغراب وقد شاب ، فضحكت ورضيت عنه .

أما سكينة الأديبة ، فنقر بالعجز عن الإحاطة بنواحيها ، وحسبنا أن نقول : إنها كانت حجة من حجج عصرها فى هذا الفن : كان كبار الشعراء ، وحذاق المغنين يتحاكمون إليها مطمئنين ، فتقضى بينهم قضاء لا يرد؛ لأنه قضاء العالم الخبير.

دخل إليها ابن سريج والغريض فى بعض حجاتها ، فقال ابن سريج : ياسيدتى إنى كنت صنعت صوتا ، وتنوقت فيه ، وخبأته لك فى حريرة ، فى درج مملوء مسكا ، فنازعنيه هذا الفاسق ، فأردنا أن نتحاكم إليك ، فأينا قدمته تقدم ، فغناها ابن سريج :

عوجى علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلى تحرجى

فقالت : هاته أنت ياغريض ، فغناها إياه ، فقالت لابن سريج : أعده ، فأعاده ، ثم قالت : ياغريض ، أعده ، فأعاده ، فقالت : ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحسان ، لايدرى أى ذلك أحسن .

وأنشدت مرة قول الحارث المخزومى :

ففرغن من سبع وقد جهدت أحشاؤهن موائل الخمر (١)

فقالت : أحسن عندكم ماقال ؟ قالوا : نعم . قالت : وما حسنه ؟ فوالله لو طافت الإبل سبعاً لجهدت أحشاؤها . ودخل عندها كثير عزة ، فقالت له : يابن أبى جمعة ، أخبرنى عن قولك فى عزة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها (٢) وعرارها

---

(١) جمع خمار .

بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل ارطب نارها

ويحك ! وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين، توقد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم تريانى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباوإن لم تطيب؟

وخرج الفرزدق حاجا ، فلما قضى حجه قصد المدينة ، فدخل إليها فسلم .فقالت: يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ، أشعر منك جرير الذى يقول :

بنفسى من تجنبه عزيز علىّ ومن زيارته لِمام

ومن أمسى وأصبح لاأراه ويطرقنى إذا هجع النيام

فقال : والله لو أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . قالت : فأقيموه ، فأخرج ، ثم عاد إليها من الغد فقالت : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ . قال : أنا . قالت كذبت ! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك ، والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كُتِم الحديث ، وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال : والله لو أذنت لى لأسمعتك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج ، ثم عاد فى اليوم الثالث وحولها موليات كأنهن التماثيل ، فأعجب الفرزدق بواحدة منهن ، ثم قالت سكينة : من أشعر الناس ؟ . قال : أنا . قالت : كذبت ! أشعر منك جرير الذى يقول :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

فقال : والله لو أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . فأمرت بإخراجه ، فالتفت إليها قائلا : يا بنة رسول الله ، إن لى عليك حقا عظيما : خرجت إليك من مكة ؛ إرادة التسليم عليك ، فكان جزائى تكذيبى وطردى ، وتفضيل جرير على ، وفى ما قد عيل منه صبرى ! وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلى لا أفارق المدينة حتى

أموت ! فإذا أنا مت، فمرى أن أدرج فى كفنى، وأدفن فى جوف هذه الجارية - يعنى التى استحسنها - فضحكت سكينة، وأمرت له بها، فخرج آخذاً بريطتها، والجوارى يدفعن فى أقفيتهما ! . ثم نادته سكينة : يافرزدق، احتفظ بها، وأحسن صحبتها، فقد آثرتك على نفسى بها .

وحدث حماد قال : اجتمع بالمدينة راوية جرير ونصيب والأحوص وجميل، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال : صاحبى أشعر . فاتفقوا على تحكيم سكينة ؛ لما يعرفون من عقلها، وبصرها بالشعر . فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحسن من الطروق ؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره !

ثم قالت لرواية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أدرى بصاحبك من هوى . إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره !

ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزنا ! من ذا يهيم بها بعدى ؟

فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده ! هلا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

قبح الله صاحبك وقبح شعره !

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تراسلا وتواعدا ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال : نعم . قالت : قبح الله صاحبك وقبح شعره ! هلا قال : تعانقا .

فلم تثن على واحد منهم، ولم تقدمه فى ذلك اليوم، وقد ذكر الهيثم بن عدى مثل ذلك فى جميعهم إلا جميلا، فإنه خالف فيه هذه الرواية وقال : إنها قالت لراويته : أليس صاحبك الذى يقول :

فياليتني أعمى أصم تقودني بثينة ، لا يخفى على كلامها

قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبك ! إنه كان صادقاً فى شعره ، وكان جميلا كاسمه .

وذكروا أنه اجتمع فى ضيافتها جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب . فمكثوا أياماً ، ثم أذنت لهم، فدخلوا إليها ، فجلست حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، ثم أخرجت وصيفة وضيئة ، قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت لهم : أيكم الفرزدق ؟ قال لها : هأنذا . قالت : أنت القائل :

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انحط باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا أحي يرجى ؟ أم قتيل نحاذره ؟
فقلت: ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره
أبادر بوابين قد وكلا بنا وأحمر من ساج تبص مسامره

قال : نعم . قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرها ؟ هلا سترت عليك وعليها ، خذ ألف درهم والحق بأهلك .

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم جرير؟ قال : هأنذا . قالت : أنت القائل :

تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذى حدثتنا لوصلت ذاك وكان غير لمام
إنى أواصل من أردت وصاله بحبالٍ لا صلف ولا لوام

قال جرير : نعم . قالت : هلا أخذت بيدها ، وقلت لها مايقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ قال : هأنذا . قالت : أنت القائل :

وأعجبنى ياعز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع :
دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا ودفعك أسباب المنى حين يطمع
فوالله لا يدرى كريم مماطل أينساك إذ باعدت أم يتصدع

قال : نعم . قالت: ملحت وشكلت! خذ هذه الثلاثة الآلاف،والحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم نصيب ؟ قال هأنذا . قالت، أنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت : بنفسى النشأ الصغار

بنفسى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال : نعم . قالت: ربيتنا صغارا،ومدحتنا كبارا. خذهذهالألف،والحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : ياجميل ، مولاتى تقرئك السلام ، وتقول لك : والله مازلت مشتاقة إلى رؤيتك ، منذ سمعت قولك :

يقولون جاهد ياجميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيـــل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتيلنا شهيدا ، خذ ألف دينار والحق بأهلك .

وقد بلغ من حبها للأدب ، وتتبعها لأخباره ، أنها كانت تسير ذات ليلة ، فسمعت حاديا يحدو فى الليل ويقول :

لولا ثلاث هن عيش الدهر ...

فقالت لقائد قطارها : الحق بهذا الرجل حتى نعرف ماهذه الثلاثة ، فسار بها طويلا حتى تعبا ، فقالت له : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها ، فقال : سمعته يقول : الماء والنوم وأم عمرو .

فقالت : قبحه الله . لقد أتعبنا منذ الليلة .

هذا، ولم تسلم سكينة-مع سمو مكانتها فى قريش-من جمحات ابن أبى ربيعة ، ولكنها كانت لما يقول أرحب صدرا من ضرتها عائشة بنت طلحة ، ولعل ذلك راجع إلى أن حظها من الطرب والمرح أوفى من حظ عائشة ، ونجل سكينة عن إيراد شيء من شعر عمر فيها، مع خلوه من الفحش والرفث . وأذكر بهذه المناسبة: أن إسحاق الموصلى غنى الرشيد صوتا فى نسيب عمر بها ، فوضع الرشيد القدح

من يده ، وغضب غضبا شديدا، وقال: لعن الله هذا الفاسق، ولعنك معه . فسقط في يد إسحاق ، وعرف الرشيد ما به فسكن غضبه : ثم قال له : أتغنيني أحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي ، وبنت رسول الله ؟ ألا تتحفظ في غنائك ، وتدري مايخرج من رأسك ؟ عد إلى غنائك الآن ، وانظر بين يديك . قال إسحاق : فتركت هذا الصوت حتى أنسيته ، فما سمعه مني أحد بعده .

وبما تقدم نعرف أن ريحانتي قريش: عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين، كما تشاكلتا في الحسن والجمال والثروة والجاه ، تشاكلتا كذلك في عامة أخلاقهما، ونزعتهما الأدبية . رحمهما الله تعالى !

علي الجندي

رأى جماعة دار العلوم
فى اللغة العربية

جالت الأقلام أخيراً ، ولهجت الألسنة فتناولت اللغة العربية وحالها فى المعاهد المختلفة ، وأسرف فريق ممن تصدوا لهذا الموضوع ، فحكم بضعف اللغة العربية ، دون أن يكون لحكمه سندمعقول،وخرج فريق آخرعن جادة الصواب ، فحاول أن يمس القائمين بتدريسها ، والإشراف عليها فى المدارس ، وخاضت طائفة فى موضوع أساليب التدريس ، ومقدرة المدرس ، إلى غير ذلك .

ولا ندرى ما الباعث على هذه الحملة ؟ وما الذى دعا إلى إثارتها فى هذا الوقت؟ ولماذا لم تنبت هذه الفكرة قبل هذا ؟ وهل جد جديد فى اللغة العربية ومستواها .

إننا لم نلمح هبوطا مفاجئاً ، أوضعفاً قلبت به الأوضاع. اللهم إلا تلك النتيجة التى تجلت فى امتحان بعض المعاهد العالية ، فدعت إلى اتجاه الأذهان لأسبابها ، وفكر المسئولون عن هذه النتيجة فى وسيلة يرجعونها إليها ، وحاولوا أن يحملوا غيرهم هذا التفسير ، ويلصقوا التهمة بالمدارس الثانوية ونظامها ، والقائمين بالتدريس فيها .

ولسنا فى مقام الرد على المهاجمين، أوتفنيد دعاوى القائمين بهذه الحملة، ولكنا سنبدى رأينا فى الموضوع ، ووجهتنا التمحيص والإصلاح، فهذا خير وأجدى .

حالة اللغة العربية :

لاريب فى أن اللغة العربية قد اطرد تقدمها فى العهد الأخير من حياة مصر، ولا جدال فى أن لغة الكتابة والخطابة قد شملها رقى محمود ، وصفاء من شوائب الركاكة ، والتواء الأساليب والأخطاء والعجمة ، التى كانت قداستفحلت وتغلغلت فى قلب اللغة، فى العصور المظلمة التى مرت بها البلاد .

والدليل على كل ذلك ملموس ، فيما نرى فى لغة الصحف والمجلات ، وفى المؤلفات الكثيرة فى شتى العلوم، وفى المجامع العلمية ، والمحاضرات العامة ، وفى لغة

القضاء وغير ذلك ، ويجدر بمن يتصدى لأن يكون حكما فى هـذا الموضوع ، ألا يغفل عن كل ذلك ، ولا عن النظر إليه نظرة نزيهة .

ولعل من أظهر الأدلة فى هذا الصدد أن بعض الصحف اليومية ، كانت تفرد صفحة أدبية ، يتبارى فيها الطلبة . ومن الحق أن نقرر أن هذه الصفحة كانت ميداناً خصباً لأقلامهم ، ودليلا ناصعاً على نهضة محمودة ، وعلى ما يمكن أن تصل إليه معلوماتهم فى اللغة العربية من قوة وازدهار ، إذا وجهت التوجيه الصالح ، وصادفت التشجيع الحافز ، والتنشيط الذى يجب أن تناله لغة البلاد .

هذه هى الحال فى خارج ميدان التدريس ، أما فى المدارس فالموازنة بين اللغة العربية فى الماضى والحاضر ، تتطلب خبرة فنية وعلمية ، وإلماماً بالتدريس وطرقه ، وأساليب السير بعقول المتعلمين ، وتقويم ألسنتهم ، ومعرفة المدارس ، وما فيها ، والمناهج واتجاهها ، فليس الحكم فى كل هذا مما يتصدى له كل إنسان . فإن لهذا الميدان رجاله الفنيين ، الذين خبروا التعليم والمدارس ، وألموا بحال اللغة العربية فيها ، فهم على الحكم أقدر ، أما إبداء الرأى من غير خبرة ، أو إلمام بالأشواط التى قطعتها اللغة العربية فى المدارس ، أو مراعاة للعقبات التى اعترضتها فى النهوض ، والإحاطة بالجهود التى يبذلها رجال اللغة العربية فى الإصلاح والتقويم ، فليس بالحكم العلمى الرصين .

ومن العدل ألا تبرم الأحكام فى هذا الموضوع . إلا فى ضوء من الخبرة ، المبنية على الأسس الصحيحة ، مع الإحاطة بماضى اللغة وحاضرها ، وحالتها العامة فى المدارس ، وفى البيئات العلمية والأدبية ، وبهذا يجىء الحكم سديداً ، منزهاً عن الهوى والغرض .

ومن الحق ألا ينزل إلى هذا الميدان إلا رجاله ، وليس من الإنصاف للغة ورجالها ، أن نصغى لكل من حدثته نفسه بأنه من رجال هذا الميدان .

على أننا لا ندرى ما الذى دعا بعض الناقدين بعلم أو غير علم إلى القول بضعف اللغة العربية ، وعلى أى أساس اعتمدوا .

فنقلب الرأى على وجوهه ، علنا نرى ماعسى أن يكون فى ظنهم هو الحجة التى اعتمدوا عليها .

١ — أتراهم اعتمدوا على نتائج الامتحانات ؟ إن الباحث لايجد فيها بصدد اللغة العربية مايدعو إلى هذه الحملة ، وإنا نسوق الدليل بذكر بيان يوضح نسبة الرسوب فى اللغة العربية فى عدة سنوات مضت ، وهو :

		مدارس أميرية		مدارس غير أميرية		طلبة المنازل		جملة الطلبة	
		عدد الطلبة	النسبة المئوية للراسبين	عدد الطلبة	النسبة المئوية للراسبين	عدد الطلبة	النسبة المئوية للراسبين	عدد الطلبة	النسبة المئوية للراسبين
١٩٣٦	علمى	١٦٦٤	٣	١٣٣٠	١٠	١٩٨	١٣	٣١٩٢	٦
	أدبى	٧٤٣	٣	٨٦١	١٠	٣٧٩	١٨	١٩٩٣	٩
١٩٣٥	علمى	١٤٧٣	٢	١٣٥٦	٩	١٨١	١٢	٣٠١٥	٦
	أدبى	٦٩٥	١	٨٥٤	٥	٣٣٧	١١	١٨٨٦	٥
١٩٣٤	علمى	١١٩٣	٤	ت ٦٧٦	١٢	٢٠٢	١١	٢٥١٠	٩
				لا ٤٣٩	١٧				
	أدبى	٥٣٥	٥	ت ٣٢٨	١٧	٣١٦	٢٨	١٥٠٧	١٤
				لا ٣٣٨	١١				
١٩٣٣	علمى	١٠٤٩	٢	ت ٨٣٦	١١	٢٠٥	٩	٣٠٤٦	٦
				لا ٤٥٦	١١				
	أدبى	٦٦١	٤	ت ٤٤٥	٩	٣٠١	٢٦	١٧٨١	١١
				لا ٣٧٤	١٦				

ت : خاضعة للتفتيش .

لا : غير خاضعة للتفتيش .

وهذا البيان مستمد من الإحصاء العام ، الذى تضعه لجنة المراقبة العامة فى امتحان شهادة الدراسة الثانوية كل سنة، وفيه معلومات شتى فى هذا الشأن . ويمكن الرجوع إليه فى مراقبة الامتحانات بوزارة المعارف . وفيه ـ إلى جانب ماتقدم ـ

نسبة الرسوب فى سائر المواد الدراسية الأخرى .

ولعل المطلع على الاحصاء الذى سردناه ، لا يرى فيه حجة للناقدين ، بل إنه دليل على عكس ما يرمون به اللغة العربية ورجالها .

وقد يقال : إن الناقدين بنوا حكمهم على نتيجة الامتحان فى هذا العام ، غير أننا نلاحظ أن هذه الحملة ضد اللغة العربية ، قد بدت طلائعها قبل أن تظهر نتيجة الامتحانات العامة . اللهم إلا إذا كان دليلهم هو ما يقدمه المصححون قبل ظهور النتائج ، من إحصاء إجمالى أو تفصيلى بعد الانتهاء من التصحيح .

على أنا لا نعتقد أن فى هذا دليلا على دعوى المدعين ، فلم تكن نتيجة اللغة العربية بالنتيجة السيئة ، ولم تكن تستدعى هذه الحملة التى لا مسوغ لها .

على أنه إن صح كل ما يقوله المهاجمون فى نتيجة هذا العام ، فهل من الإنصاف أن يتخذ ذريعة لتجريح اللغة العربية ، والتهجم على رجالها ؟ أو لم يكن لهم من نتائج الأعوام السابقة ما يجعل حكمهم نزيها عادلا ؟

ولنفرض أن النتائج قامت دليلا على أن نسبة الرسوب فى اللغة العربية أكثر مما كانت فى الأعوام السابقة ، فهل وازنوا بين النسب فى جميع المواد الدراسية ؟ ولو أنهم فعلوا لظهر لهم أن الضعف شامل . وأنه لابد من عامل مشترك يعزى اليه مالحوا من هبوط ، وأن نظام التدريس فى اللغة العربية ، وعناية مدرسيها بعملهم ، وكفايتهم ، لادخل لهما فى الموضوع .

وإذا كانت نتائج الامتحان هى مثار النقد ، ومبعث الحملة على المدارس والقائمين بالتعليم ، فما للناقدين قد خصوا اللغة العربية بحملتهم ، وغفلوا عن النتيجة فى كلية الآداب هذا العام ، إذ كانت ١٧ ٪ ولم يثيروا حولها ثائرتهم ؟ ولماذا لم يثيروا هذه الضجة حين ساءت النتيجة فى كلية التجارة ، ولم يغن فى رفع مستواها ما أضيف من درجات كثيرة لجمهور الطلاب ؟ لقد مر كل هذا دون أن نسمع ضجة كالتى سمعناها بصدد اللغة العربية ، فهل هناك عوامل كامنة ، يرجع إليها غلو الناقدين ، وصب سياط نقدهم على اللغة ورجالها ؟

لقد كان الأجدر بالناقدين أن يكون الإنصاف رائدهم ، وأن يتحلوا بالعدل ليكون حكمهم سديداً رشيداً .

ب — أو لعل الناقدين قد بنوا حكمهم على حال اللغة العربية فى المدارس ، فهل خبروها عن كثب ، خبرة فنية ، توصل إلى الحكم السليم ؟ وأين أتيحت لهم الفرص التى تمكنهم من هذا ؟ إن الخبرة بالمدارس إنما تجىء عن طريق التدريس ، أو التفتيش ، أو عن طريق عامل آخر إضافى هو الامتحان. فهل كان للناقدين نصيب من هذا ؟ وإذا لم يكن ، فما أحراهم أن يتنحوا عن ميدان النقد ، ويتركوا الإصلاح لأهله ولمن هو به عليم !

ج — أم هم بنوا حكمهم على ما عسى أن يكونوا قد اطلعوا عليه ، مما يسطره الطلاب فى امتحان المواد الأخرى ، أو نحو ذلك ؟ وهذا مقياس آخر للحكم ، ولكن يجدر بنا قبل الاحتكام إليه ، أن نبحث عن المعين الذى يستمد منه الطلبة ما يسطرون من عبارات ، فيما يختص بهذه المواد الدراسية ، لنعرف من الملوم فيما اشتملت عليه من خطأ وركاكة .

وإن من الحق والإنصاف ، أن نبحث عن أسباب هذا فى ميدان غير دروس اللغة العربية ، ومدرسيها ، وطرق تدريسها ، ومن الحق والإنصاف أيضاً أن نظر فى لغة التدريس لهذه المواد ، فهى من أقوى العوامل فى توجيه الأقلام وإمداد الأفهام .

ولو كان المجال فسيحاً لأثبتنا ملخصات منقولة بحروفها عن الأفواه فى محاضرات ألقيت فى بعض المعاهد العالية ، لنرى بأى لغة يدرسون الأدب أو غيره .

أما لغة التدريس فى المواد الأخرى فإن ضعفها لا يحتاج إلى دليل ، وسنشير إلى ذلك وإلى أثره فيما بعد .

° ° °

هذه وجهات من النظر كان يجدر بالناقدين أن يعيروها جانباً من الاهتمام ، ولسنا نريد أن نقف معهم موقف جدل أو احتكام ، ولكنا نكرر ما أشرنا اليه من قبل ، وهو أن الحكم على اللغة أولها ، إنما يكون صحيحاً إذا اقترن بمعرفة المدارس ، ودخائلها ، وحال التلاميذ فيها ، فى الفترات المتعاقبة من العهد الأخير

فى البلاد . ولهذا الحكم طرقه التى يعرفها رجال اللغة الفنيون الخبيرون .

أما أن يتصدى للحكم غير أهله ، أو أن يشاب هـذا الحكم بغاية أو غرض يرمى إليه الناقد ، فهذا مما ينحرف بالحكم عن جادة الصواب ، ولايحقق غاية ، ولا يوصل إلى الإصلاح المنشود .

° ° °

لسنا نبغى بكل ماتقدم أن نسد الباب أمام من يريد إصلاحا ، أو نقداً ، مرتكزاً على القواعد الصحيحة ، ولكنا نريد أن يكون النقد نزيهاً ، مجرداً عن الهوى ، مقروناً بالخبرة الشاملة ، وإنا نرحب بالإصلاح إذا كان الحافز إليه حب الحق ، وهذا هو ما يجب أن تتجه إليه العناية .

° ° °

نترك كل هذا فما إليه قصدنا ، وما ألجأنا إلى التعرض له إلا الأساليب التى سلكها الناقدون والمهاجمون .

ونذكر رأينا فى الداء وفى الدواء .

العوائق فى تعليم اللغة العربية :

ويجدر بنا هنا أن نسجل بعض الحقائق التى لا يجادلنا فيها ناقد ؛ ذلك أن القائمين بتدريس اللغة العربية ، والعمل على إنهاضها ، قد جاهدوا لتحقيق غايتهم فى جو مملوء بالأشواك ، مشبع بعوامل كثيرة تضعف اللغـة ، وعملوا على إقالتها من عثارها ، وإنقاذها من براثن التدهور ، الذى كان قد تغلغل فى أحشائها فى العصور الأخيرة المظلمة ، وساروا بخطا حثيثة ، وهمة مقرونة بالإخلاص والعزم الصادق ، فى طريق محفوف بالعقبات ، ولعل الإشارة إلى هذه العوائق مما لا بد منه ؛ للوصول إلى الاصلاح .

وأهم هذه العقبات ما يأتى :

١ ــ اللغة العامية فى التدريس :

كانت لغة التعليم إلى عهد ليس بالبعيد هى اللغة الأجنبية ، وكان لها الحظ الأوفر من العناية ، ولم يكن للغة القومية نصيب يبعث على الاهتمام بها .

وحين تبدلت الحال ، وأصبحت لغة التعليم هى اللغة الوطنية ، لم يكن للغة العربية

من هذا التغيير عون يساعدها ، ولم تسلم من عائق آخر يهدد كيانها . فقد حلت اللغة العامية محل الأجنبية فى تدريس المواد ، وليست العامية بأقل خطورة على اللغة وكيانها من اللغة الأجنبية ، بل قد تكون أمضى حداً ، وأشد وقعاً ، فهى عامل إيجابى فى إضعاف اللغة ، وهدم ما يبنى معلموها .

٢ — لغة التخاطب وأثرها :

ولم يكن هذا وحده من عوامل الهدم . ووسائل الإضعاف ، بل هناك ذلك العامل الشامل المتفشى فى كل ناحية ، وهو اللغة العامية ، المتأصلة فى الحياة العامة . فى خارج حجرات التعليم ، وهى اللغة المستعملة فى التخاطب ، وفى التعبير عن جميع المقاصد ، وهى التى تطرق سمع الطفل منذ نشأته . ولا يخفى أن العامية ليست عونا لمعلم اللغة العربية فإنها أشبه بلغة أخرى ، يستخدمها الجميع فى التعبير والتفاهم .

٣ — أثر البيئة :

وفوق ما تقدم هناك عامل آخر ، له أثر ليس بالقليل ، وهو أن البيئة المصرية ليس فيها من عوامل التشجيع ما يغرى التلاميذ بالحرص على تعلم اللغة العربية ، والإقبال على دروسها ، فإن الذى رسخ فى الأذهان ، ويؤيده المشاهد ، أن أقل قسط من اللغة العربية يكفى للنجاح ، وللسير فى الوظائف الحكومية وغيرها ، وليس هناك من يحاسب على الخطأ والصواب فى تحرير أو تعبير ، والدراسات العالية أيضاً ليس فيها ما يدعو إلى التزود بقسط وافر من اللغة العربية .

٤ — حظ اللغة العربية من الزمن الدراسى :

ثم انظر بعد كل هذا إلى نصيب اللغة العربية من الزمن ، فى خطط الدراسة بالمدارس ، وتصفح جميع المناهج التى تعاقبت على المدارس الثانوية ، تجد أن حظ اللغة العربية من عدد الحصص ، لا يدعو إلى الاغتباط ، ولا هو مما تفخر به لغة قومية . فقد كانت اللغات الأجنبية أرجح قسطا ، وأوفر زمناً ، وأكثر حظوة بالعناية والتوفر على الدرس والتحصيل ، مما جعل التلاميذ يولونها نصيباً عظيما من عنايتهم ، ومن أوقات فراغهم . وإليك الموازنة بين الحصص ، فى الماضى والحاضر ، وبين اللغة العربية واللغات الأجنبية :

تاريخ المنهج	اللغات	السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة		السنة الرابعة		السنة الخامسة		المجموع		اللغة العربية واللغات الاخرى فى جميع السنوات	
				علمى	ادبى	علمي	ادبى	علمي	ادبى	عامي	ادنى	علمى	ادبى
سنة ١٩٠٥	اللغة العربية	٨	٨	٨	٨	٨	٨			٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
	« الاولى	٩	٩	٩	٩	٩	٩			٣٦	٣٦		
	« الثانية	—	—	—	٦	—	٦			—	١٢	٤٢	٥٤
	الترجمة	٢	٢	١	١	١	١			٦	٦		
سنة ١٩٢٨	اللغة العربية	٦	٦		٦	٥	٧	٥	٧	٢٨	٣٢	٢٨	٣٢
	« الاولى	٧	٧		٧	٦	٧	٦	٧	٣٣	٣٥		
	« الثانية	٤	٤		٤	٣	٥	٣	٥	١٨	٢٢	٥٦	٦٢
	الترجمة	١	١		١	١	١	١	١	٥	٥		
سنة ١٩٣٤	اللغة العربية	٦	٦		٦	٥	٧	٥	٧	٢٨	٣٢	٢٨	٣٢
	« الاولى	٩	٩		٩	٧	٨	٧	٨	٤١	٤٣		
	« الثانية	٤	٤		٤	٤	٦	٤	٦	٢٠	٢٤	٦٦	٧٤
	الترجمة	١	١		١	١	٢	١	٢	٥	٧		
سنة ١٩٣٥	اللغة العربية	٦	٦		٦		٦			٢٤			٢٤
	« الاولى	٩	٩		٨		٨			٣٤			٥٠
	« الثانية	٤	٤		٤		٤			١٦			

على أن اللغات الآجنبية ـ على وفرة ما اختصت به من زمن ـ قد تصاعدت الشكوى من ضعفها ، ومن خروج الطلاب من المدارس الثانوية دون أن يعرفوا منها إلا مبادىء سطحية (راجع تقرير حضرة صاحب السعادة أحمد نجيب الهلالى بك وزير المعارف الأسبق).

٥ ــ التبكير فى تعليم اللغة الأجنبية :

ولا ننسى إلى جانب ما تقدم أن اللغــة الأجنبية تغزو عقل الطفل فى سن مبكرة فى المدارس الابتدائية كما هومعلوم ، وتنال من زمن الطفل وجهده نصيباً كانت اللغة القومية ، والثقافة العقلية أجدر به وأولى . ولسنا هنا بصدد البحث

النفسى المستفيض فى استعداد الطفل لتلقى لغة أجنبية . فى السن المبكرة من الدراسة الابتدائية ، ولكننا نشير إلى حقيقة تدرك معكوسة ، ويتخذ من عكسها أساس لإدخال اللغات ، ابتداء من السنة الأولى الابتدائية . ذلك أن المرونة العقلية التى يظن بعضهم أنها تسوغ هذا التبكير ، إنما تكون على أشدها بين الثالثة والسابعة ، وتكون مقدرة سمعية تقليدية . أما فى سن السابعة فإنها تفتر إلى حد جعل الباحثين لا يرون من الصواب أن يشغل العقل بلغتين فى وقت واحد . على أنا نترك هذا البحث ، فالمربون قد فرغوا من التدليل عليه .

٦ — خلو الدراسات العالية من اللغة العربية :

وهناك عامل آخر ، وهو أن المدارس العالية ، لا أثر فيها للاستزادة من دراسة اللغة العربية ، ولا للعناية بها .

ولقد كان من الإنصاف للغة القومية ، أن يكون لها فى التعليم العالى ـ ولا سيما معاهد المعلمين ـ نصيب .

هذه هى بعض العوامل التى اعترضت تعليم اللغة العربية ، وعاقت المعلم عما ينشد من غاية ، يرجو أن يحققها للغة البلاد ، وهى عوائق تسد الطريق فى معظم نواحيه ، وتهد جهود الجبابرة .

على أنه على الرغم من كل هذا ، لم يفت فى عضد القائمين بتدريس اللغة العربية ، والإشراف عليها ، فقد ساروا فى عملهم سيراً مقرونا بالاهتمام والابتكار ، وتدرجوا بالمناهج وبأساليب التدريس ، متمشين مع سنة النهوض حتى حفظوا للغة كيانها ، ووصلوا بها إلى مستوى محمود ، لا يجادل فيه المنصفون .

ولقد كان الأجدر بمن يتحدثون عن ضعف اللغة العربية ، أن يعجبوا كيف استطاعت هذه اللغة أن تقاوم هذه الأعاصير . وكيف تسنى لرجالها أن يصمدوا أمام هذا التيار الجارف ، وأن يحرز تعليم اللغة على أيديهم ما أحرز من نجاح ! ولكنها عناية الله الذى أنزل الفرقان باللسان العربى المبين .

وما كان أخلق الناقدين أن ينظروا إلى كل ما تقدم ، نظرة إنصاف قبل الحكم والاتهام .

٧ — النظام المدرسى فى السنوات الأخيرة:

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى عامل آخر ، كان له أثر فى المدارس ونظامها فى

السنوات الأخيرة ، وذلك هو ماغشى المدارس من اضطراب ، أجهد كثيراً من المصلحين ، وحال دون أداء الأعمال على الوجه الأكمل ، وما اندفع فيه التلاميذ من تيار الإهمال والاستهتار بالواجب ، مما أدى إلى ركود التحصيل فى جميع المواد الدراسية .

وإذا كانت اللغة العربية قد أصابها شواظ من هذا الإعصار ، فقد كان من الإنصاف ألا يختصها الناقدون بسهامهم .

لعلنا فى ثنايا ماتقدم قد ألمعنا إلى بعض العوامل ، التى تعترض سير اللغة العربية ، وتقف فى سبيل القائمين بتعليمها ، ومن يهتمون بنهوضها . وقد أشرنا إلى هذه العوائق ؛ لأن الإلمام بها يمهد السبيل للإصلاح .

وسنجمل القول فى الوسائل التى نرى أنها تكفل للغة العربية قسطا من النهوض :

١ — عدد الحصص :

إن حظ اللغة العربية من الزمن قليل ، فعدد حصصها فى المنهج الأخير للثقافة العامة ست حصص ، فى كل سنة من سنوات الدراسة ، وإن الموازنة بين هذا النصيب للغة العربية ـ وهى لغتنا القومية ـ ونصيب اللغات الأجنبية ، لتوضح ظاهرة تدعو إلى العجب والأسف . ولو كانت اللغة العربية هى لغة التخاطب فى المنزل ، وفى الحياة العامة وشئونها ، لكان فى هذا بعض مانتأسى به ، ولكن اللغة العربية ليست لغة الحياة العامة ، بل إن التلميذ يتعلمها كما يتعلم لغة أجنبية . وياليتها كانت كاللغات الأجنبية ، ليس أمامها ذلك العامل القوى فى أثره ، وهو اللغة العامية . إذن لكان الخطب أهون . فإن من يتعلم لغة أجنبية ، فى مأمن من اللغة غير الصحيحة ، التى تطغى على الألسنة فى المدرسة وفى خارجها .

ولقد كان من المعقول بعد كل هذا أن تكون اللغة العربية ، أوفر زمناً من اللغات الأجنبية ، أو مماثلة لها فى ذلك على الأقل .

لذا نرى أن تزاد حصص اللغة العربية فى المدارس الثانوية ، ولهذه الزيادة شأنها من عدة وجوه ، وذلك لما يتبعها من زيادة الاهتمام باللغة العربية ، وزيادة نصيبها من ساعات الفراغ ، وزيادة نصيبها العام من جهد التلميذ الأسبوعى فى المدرسة وخارجها .

٢ — ينبغى أن يكون لدراسة النصوص الأدبية والمحفوظات شأن ، ونصيب وافر من الزمن ، وأن تتضمن دراسة كتاب شائق ، أو فصول من كتاب ، دراسة وافية ،

مع الاختبار فى ذلك ، ووضع درجات له تناسبه فى الامتحان الكتابى والشفهى .

٣ — ليكن للاختبار الشفهى فى اللغة العربية شأن يميز بين القوى والضعيف من التلاميذ ، مع تحديد نسبات صغرى ، لفروع الامتحان الشفهى فى المحفوظات والنصوص والمطالعة ، وضم الدرجة النهائية لذلك ، إلى المجموع العام للدرجات .

٤ — لا داعى للتبكير فى تعليم لغة أجنبية ، بالمدارس الابتدائية ، فلهذا من الأضرار ما سطره المربون .

٥ — إذا لم يكن من الميسور الآن إصلاح لغة التخاطب فى المنزل وفى البيئة الخارجية ، فليس من الإنصاف للغة البلاد ، أن تظل لغة التعليم فى المواد الأخرى على هذه الحال من الضعف والتدهور ، فإن لهذا أثرا سيئاً فى تدريس اللغة العربية ، وفى القضاء على ما يجنى التلاميذ فى دروسها من ثمرات .

ولعل من وسائل العلاج في هذا الصدد أن يزود من يعدون أنفسهم لمهنة التعليم بقسط من اللغة العربية ودروسها ، يكفل لهم احترامها ، والحرص على الإبانة بها .

٦ — ينبغى أن يكون لفروع اللغة العربية فى الامتحان التحريرى نهايات صغرى عالية ؛ حتى يهتم التلاميذ بجميع شعب اللغة العربية ، فإن النهايات الصغرى الحالية ، تشجع على الإهمال والتهاون .

٧ — ينبغى أن يكون للغة العربية الصحيحة شأن فى مصالح الحكومة ، وأن يتخذ ولاة الأمور من الوسائل ما يشعر بأن من النقص أن تكون المكاتبات والمنشورات وغيرها مشوبة بالأخطاء ، وركاكة التعبير ، وضعف الأسلوب .

وإذا لم يكن فى مقدور بعض الموظفين أن يكتبوا كتابة سليمة ، جارية على المنهج العربى الصحيح ، فلتضع الوزارات المختلفة من النظم ، ما يكفل إصلاح ما يكتب الموظفون . ولقد عنيت مصالح الحكومة بشىء من هذا ، فى زمن مضى ، فكان فى كل منها من رجال اللغة العربية من يشرف على صقل اللغة وإصلاحها .

٨ — بث وسائل التشجيع بين التلاميذ ، لكى يهتموا بإجادة اللغة العربية ، وذلك (ا) بالتنويه بالجيد ، فى حفلات مدرسية ، يحضرها ذوو الشأن . «ب» وبمنح جوائز التفوق فى اللغة العربية . «ج» وبتشجيع التلاميذ على كتابة المقالات وإلقائها ، فى اجتماعاتهم المدرسية ، أو نشرها فى مجلة المدرسة ، مع الاهتمام بالإشراف عليها . إلى غير ذلك من الوسائل الكثيرة .

٩ ـ أما كتب المطالعة فلنا بصددها كلمة : فقد طال احتكار الكتب المدرسية ، فى المطالعة العربية ، فترة طويلة من الزمن ، فرضت فيها كتب خاصة على التلاميذ . ولم يكن من الميسور أن يضمن أحد المؤلفين النجاح أو التشجيع ، إذا تقدم بما يعتقد أنه صالح مفيد من الكتب ؛ ولهذا انصرفت الهمم عن التجديد .

ونرى أن يفتح باب المسابقة ؛ لتأليف الكتب النافعة ، فى المطالعة المدرسية والمنزلية ، لتختار الوزارة الصالح منهما ، وتكافىء صاحبه ، وإلى جانب ذلك كتب أخرى ، يعهد فى تاليفها إلى لجان ، تختارها الوزارة ، مع التجديد فى كل ذلك ، تمشيا مع سنة التقدم ، وما يتطلبه نهوض البلاد .

وستجد وزارة المعارف من رجال اللغة العربية ـ إذا يسرت لهم السبيل ـ مايدعو إلى الاغتباط .

(١٠) بقيت كلمة خاصة بالمناهج :

ذلك أن مناهج اللغة العربية قد تعهدها رجالها ، وساروا بها فى مراحل متدرجة ، وكانوا يصلحونها ويغيرونها ، كلما عرضت فرص تمكنهم من ذلك ـ على قدر ما كان فى أيديهم من سلطة ـ وقطعت المناهج شوطا من التقدم والتمشى مع التجديد ، جعل اللغة أقرب متناولا ، وجعل لدروس القواعد غاية عملية إنشائية مزجها باللغة ، وأوجد التماسك بين جميع دروس اللغة العربية ، فى شعبها المختلفة ، حتى صارت هذه الشعب ترمى إلى غاية واحدة ، وهى التعبير السليم ، والثقافة العامة ، وغير ذلك من الأغراض . ومن الظواهر التى تجلت أن الكتب التى ألفت فى قواعد اللغة ، بدأت تسير نحو التقدم ، طبقا لهذا الروح .

ولقد كان المأمول أن يسير الإصلاح على هذا النسق ، فى خطوات متدرجة ، يرعاه رجال اللغة العربية ، الذين خبروه فى مراحله ، وعرفوا المواطن التى تتطلب العلاج ، ولكن عاصفة من التغيير هبت ، فجرت بمناهج القواعد وبكتبها ، على أسلوب آخر ، أحس معظم مدرسى اللغة العربية ـ أو كلهم ـ أنه حلقة نابية عن سلسلة الإصلاح ، الذى رسمت خطته منذ سنوات ، وأن هذه المناهج فى حاجة إلى التغيير فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وقد سطروا ذلك فى الملاحظات التى قدموها .

ويقيننا أن هذه المناهج ستنال قسطها من العناية .

هذا مجمل لما نرى من وسائل الإصلاح ، فإذا صح العزم على النهوض بلغة البلاد ، فالمنهج واضح ، والطريق قويم مستقيم .

جماعة دار العلوم

طرائف اللغة (١)

للأستاذ مهدى أحمد خليل
المفتش بوزارة سابقا المعارف

مَفْعَلَة

يصاغ من الفعل الثلاثى مَفْعَلَة لبيان سبب الشىء، والباعث عليه، والداعى إليه نحو نَوْمة الضُّحا مَخْلَفَةٌ للغم، من الخُـلُوف، وهو تغير رائحة فم الصائم.

الطعام مَتْخَمَةٌ.

البرُّ مَرْضَاة للرَّبِّ ومَسْخَطَة للشيطان.

إنّ حرارة الجوع مَلْهَبَة، وتنغيص النوم مَغضبة.

طعامٌ مَسْفَهَة: يبعث على كثرة شرب الماء.

هذا مَسقطة له من أعين الناس.

هذا مَحْسمة للداء: أى سبب يدعو إلى حسمه وقطعه.

الخمر مَهْلكة للمال ومذهبة للعقل.

الولد مَجْبنة مَبْخلَة.

الصوم مَصَحة.

المال مَنبهة للكريم.

البطنة مكسلة عن الصلاة، ومفسدة للجسم.

هذا طعام مسمنة للجسم

اليمين الكاذبة منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

العلم محلمة لصاحبه.

كثرة الشراب مبولة، وكثرة الطعام متخمة.

صلة الرحم مَثْراة فى المال، منسأة فى الأثر.

---

(١) بقية ما نشر بالعدد الثالث من السنة الثالثة.

فُعَلَة وفُعْلَة

يشتق باطراد من الفعل الثلاثى فُعَلَة لكثرة وقوع الفعل من الفاعل، وفُعْلَة لكثرة وقوع الفعل على المفعول به . قال صاحب اللسان فى مادة ضَحِكَ: وضُحَكَةٌ : كثير الضَّحِك، وضُحْكَة: يُضْحَك منه ، يطرد فى هذا الباب . وفيه أيضا فى مادة عرق : ورجلٌ عُرَقَة كثير العَرَق ، وفُعَلَة بناء مطرد فى كل فِعْل ثلاثى . وفى القاموس : هو لُزَمَة إذا لزم شيئا لا يفارقه ، قال شارحه : وهو باب مطرد وعد صاحب المزهر فُعَلَة من أبنية المبالغة الاثنى عشر . وفى فقه اللغة للثعالبى فى الكلام على زيادة الهاء : « والهاء الداخلة على صفات الفاعل لكثرة ذلك الفعل منه ويقال لها هاء الكثرة نحو نُكَحَة وطُلَقَة ، والهاء فى صفة المفعول به لكثرة ذلك الفعل عليه نحو ضُحْكَة ولُعْنَة . وفى المزهر : « اعلم أن ما جاء على وزن فُعَلَة من النعوت فهو على تأويل فاعل ، وما جاء منه على وزن فُعْلَة فهو على تأويل مفعول ، يقال هذا رجل ضُحَكَة كثير الضَّحِك، ولُعَبَة كثير اللعب، ولُعْنَة يلعنه الناس ، وسُبَّة يَسُبُّونه .

أمثـــلة

رجل أُمَنَة كثير الوثوق بكل أحد . أُكَلَةٌ من الأكل ، أُنَنَة من الأنين . بُرَمة من البَرَم بالناس وهو الضَّجَرُ . تُكَلَة من الاتكال على الغير للعجز . جُثَمَةٌ للنُّؤُوم الذى لا يسافر . جلَسة من الجلوس . حُمَدَة من الحمد .

حُطَمة من الحَطْم وهو الدق والكسر . حُوَلة كثير الاحتيال . امرأة خُبَأة من الخَبء : وهو الاستتار رَجُل خُدَعة يخدع الناس كثيراً ، وخُدْعة يُخدَع ، خُذَلة من الخَذْل ، وهو ترك النصرة والإعانة . خُدَنة يخادن الناس ويصاحبهم كثيراً . خُرَجة من الخروج ، خُضَعَة من الخضوع ، سُؤَلة من السؤال . رجل سُخَرَة يسخر بالناس ، وسُخْرَةٌ يُسخَرُ منه . سُهَرة كثير السهر . سُبَبَة كثير سب الناس ، وسُبَّةٌ يسب كثيرا ، شُرَبة من الشرب صُرَعة شديد الصراع . ضُجَعَة كثير الاضطجاع . ضُحَكة يضحك من الناس ، وضُحْكة يُضحك منه .

طُلَعة كثير التطلع . طُلَقه كثير الطلاق . رجل طُرَقة يسرى كثيراً حتى يطرُق أهلَه ليلا ، طُلَبة كثير الطلب . عُذَلة من العذل ، عُرَقة كثير العرق . عُلَنة يبوح بسره كثيرا ، عُوَقة كثير التعويق لأصحابه . قُبَعَة قال الزِّبرقان بن بدر السعدى : أبغض كنائنى إلىّ الطُّلَعة القُبَعة ، وهى التى تُطالِعُ رأسَها ثم تخبَؤه كأنها قُنفُذة ، والعرب تقول خُبَأةٌ خير من يَفَعَة سَوْء أى بنت تلزم البيت تَخبأ نَفسها فيه خيرٌ من غلام سوء لا خير فيه . قُعدة من القعود . رجل قُذَرة يتنزه عن الملائم ملائم الأخلاق ويكرهها . رجل قُبَضَة رُبَضَة يتمسك بالشيء ثم لا يلبث أن يدعه . رجل قُشَرة مَشْئوم من قَشرهم أى شأمهم . كُذَبة من الكذب . لُعَبة كثير اللعب ، ولُعْبة يُلعَب به . لُوَمة يلوم الناس . ولُوْمة يلومه الناس ولُعْنة يُلعن لشره . لُجَجة من اللَّجاج من لجّ فى الأمر تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . مُسَكة للبخيل الذى يُمسك ما بيده ولا يعطيه ، مُجَعَة أحمق إذا جلس لم يكد يبرح مكانه . نُجَبةُ القومِ النجيب منهم . النُّكَعَة كثير النوم ، ونُوَمة خامل الذكر لا يؤبه له . رجل نُتَفَة ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه ، وكان أبو عبيدة إذا ذكر الأصمعى يقول ذلك رجل نُتَفَة ، قال أبو منصور : أراد أنه لم يستقص كلام العرب . هُزَأة يَهزأ به . هُمَزة يعيب الناس بالغيب . رجل هُذَرة بُذَرَة كثير سَقط الكلام . هُلَعة من الهلع وهو الجزع . رجل هُجَعَة كثير الاستنامة إلى كل أحد ، غافل ، حمق . وُلَجَة من الولوج وهو الدخول . وُكَلة يكل أمره إلى غيره ، وُلَعَة يولع بما لا يعنيه .

فُعْلَة بمعنى مفعولة

تصاغ من الفعل الثلاثى فعلة بمعنى مفعولة باطراد ، ومن أمثلتها خطبة . ونسخة ، وغرفة من ماء وثلمة ، وفرجة ، وسفة : من سففت الدواء ، ولقمة ، وشفعة ، أى مضمومة إلى غيرها . وقبصة : من قبصه تناوله بأطراف أصابعه ، وقبضة : من قبض عليه أمسكه ، والدفقة ، البؤرة : من بأر كمنع : حفر ، والحفرة . واللقمة ، والجرعة ، والصبة : المصبوب من الماء . والحزمة ، والحسوة . مايحسى أى يشرب والخلسة ما يُختلس أى يخطف لسرعة على غفلة ، والجزة المجزوزة من الصوف . هذا والمرة من كل ذلك على وزن

فَعلة فالفارق بينهما الحركة . وفى اللسان فى مادة نغب : نغب الانسان ينغب ابتلع الماء والريق، والنغبة المرة الواحدة ، والنغبة الاسم ، كما فرق بين الجَرعة والجُرعة، وسائر أخواتها بمثل هذا ، واقتداح الماء غرفهُ ، والقـُدحة الغـُرْفـَة ُ والقدحة المرة يقال : أعطنى قدحة من مرقك ، أى غرفة . وفيه فى مادة لعق : لعق الشىء يلعقه لعقا لحسه ، واللعقة المرة ، واللعقة مالعق، يطرد على هذا . وفى الشفاء ، الفطرة : اسم لما يعطى فى الفطر ، مولد ولا يمنعه قياس .

لغات

فَعِل وَفعْـل وفِعِل

(١) فَعِل إذا كان ثانيه حرف حلق فيه أربع لغات ، فَعِل وهو الأصل ، وفِعِل بكسر الفاء اتباعا للعين وتلك لغة تميم . أما الحجازيون فلا يتبعون ، فَعْل مخفف فَعِل ، وفِعْل مخفف فِعِل ، وهذا مطرد سواء أكان فَعِل اسما أم فعلا ، فالاسم نحو نخذ ونخذ ونخذ وفخذ وضحك وضحك وضحك ومثل ذلك لعب ومحك (لجوج صعب الخلق) ولهم (أكول) ووَغِل (طـُفَيْـلِى ٌ كثير الدخول على من يشرب من غير أن يدعى) وجَئِزٌ من جَئِزَ بالماء كفرح غُصَّ به ، ونَعِرٌ : لا يستقر فى مكان ، مأخوذ ٌ من قولهم حمار نَعِر أى دخلت فى أنفه النَعرَةُ وهى ذباب ضخم أزرق العين أخضر، له إبرة فى طَرَف ذَنَبِهِ، يلسع بها ذوات الحافر وربما دخلت فى أنف الحمار فيركب رأسه ، ولا يرده شىء . والفعل نحو شَهِد وشَهَدَوشهْدَ وشهد ومثله نَغِلَ (نَغلَ الأديم نَغلا فهو نغل فسد فى الدباغ) ولعبَ ورَحِمَ ووَخِمَ (وخِمت الناقة فهىَ وَخِمة إذا أصابها الوخَمَ وهو داء كالباسور) ومَحِك (مَحِكَ مَحْكا فهو مَحِك أى لجوج صعب الخلق) وبَعِل بأمره بَعَلا فهو بَعِلٌ بَرِم به فلم يدر كيف يصنع فيه) ونعم وبئس ، وأكثر العرب يقول نِعْم وبِـئْس على لغة تميم مع التخفيف .

(٢) فَعْل إذا كان حلقى العين يجوز تحريك عينه بالفتح وهذا قياس مطرد عند الكوفيين كالنَهْر والنَهَـر ومثـله البحر ، والشعر ، والدهر ، والحلب ، والشعب ،

(تهييج الشر) والزهر ، والجهر ، واللحم ، والمغص ، والشهد (العسل) والنحو ، وتلك لغة عقيل .

ومن العرب من قال مِحِمُوم فى مَحْمُوم باتباع الحاء للميم .

(٣) فعِيل إذا كان ثانيه حرف حلق فيه لغتان : فَعِيل وهى لغة أهل الحجاز . وفِعِيل وهى لغة تميم وسفلى مضر نحو شَهِيد وشِهِيد ومثله شعير ، ورغيف ، ولئيم ، ونحيف ، ونحيل ، وبعير ، وسعيد ، وبهيمة .

أما من قال مِغِيره (اسم) فى مُغِيرة فعلى اتباع الميم للغين ، ومثله أنتن فهو مِنْتِنٌ فى مُنْتِن كما قالوا : أنبُؤُكَ وأجُوءُكَ فى أنبئك وأجيئك . والساكن حاجز غير حصين ، ويقال : نتنه غيره جعله منتناً فهو مُنتن ، وعامة أهل مصر يكسرون ميمه شذوذاً . وهو نتن ، والعامة يكسرون النون اتباعاً للتاء المكسورة ، والقياس لا يأباه .

التخفيف بالاسكان

كل ثلاثى مضموم العين أو مكسورها سواء أ كان اسماً أم فعلا فإن بكر بن وائل وتغلب وأناساً كثيرين من تميم يخففونه باسكان عينه ، يقولون فى رجل وعَضد ورُسُل وكتُب وطنُب [1] وعنق : رجْل وعضْد ورسْل وكتب وطنب وعنق ، وفى كبد وإبل وعلم وفصد وعصر : كبْد وأبْل وعلم وقصد وعصر ، قال أبو النجم من بكر بن وائل

لوْ عُصْرَ مِنهُ البانُ والمِسْكُ انعَصرْ

وقال أيضاً :

ونُفْخوا فى مدائنهم لطاروا .

أما إذا كان مفتوح العين نحو جَمَلٌ وحَمَلَ فلا يخفف بالتسكين ؛ لخفة الفتحة ويقولون فى كتِف كِتْف وفى دَرِك دِرْك باسكان العين وكسر الفاء .

وربما سكنوا ما زاد على الثلاثة كقولهم : أرَاكَ منتَفْخاً علىَّ ، يريدون

(١) الحبل تشد به الخيمة ونحوها .

منتَفخاً ، وانطَلقَ يا هذا ، يريدون انطَلِق ، ويفتحون آخره تخلصاً من التقاء الساكنين ومثله :

عَجِبْتُ لمولودٍ وليس له أبٌ وذى ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوان

أنواع من اللعب

(١) القُفَّيزَى لعبة للصبيان ينصبون خشبة أو خشبات ويتقافزون (يتواثبون) عليها .

(٢) العَتَبُ : أن يثب الصبى برجل ويرفع الأخرى .

(٣) الردَيانُ : أن يرفع الطفل رجلا ويمشى على الأخرى لاعبا .

(٤) المِخرَقُ : المنديل يلف ليضرب به .

(٥) الربيعة : الحجر الذى يرفع لتجربة الشدة والقوة .

(٦) المشوال : حجر يشال أى يرفع ، والمِشْوَلة التى يلعب بها .

(٧) عظم وضاح : لعبة لهم يطرحون بالليل قطعة عظم ، فمن وجدها فقد غلب أصحابه ، وكانوا إذا غلب واحد من الفريقين ركب أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذى يجدونه فيه ، إلى الموضع الذى رموا به منه ، وأهل مديرية الشرقية يسمونها (عضمه طاح)

(٨) القُلَّس : الرقص فى غناء .

(٩) التخاسى : التلاعب بالزوج والفرد .

(١٠) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة ، أو يلعب بها الفارس بالكرة .

(١١) الخذروف : شيء يدوّره الصبى بخيط فى يده فيسمع له دوى .

(١٢) الدوامة : ما يلعب بها فتدار .

(١٣) الزَّدْو : لعب الصبيان بالجوز يرمون به فى الحفيرة .

مهدى أحمد خليل

حديث النادى

يجتمع فى نادى دار العلوم كل مساء ، طائفة كريمة من أبناء دار العلوم ؛ يتجاذبون الحديث فى العلم والفن والأدب ، ولا يخلو حديثهم من اللذة والفائدة ، لما يتناوله من شتى الموضوعات فى جو من الهدوء والاحترام وصفاء النفس ؛ وقد رأينا فى هذه الاجتماعات سوقا جديدة من أسواق العلم والأدب ؛ وشهدنا فيما يدور فيها من الحديث لونا جديدا من البحث العلمى ، ليس من الوفاء للعلم والأدب أن نعده من سمر الليل ، حديث ساعة وينتهى أثره ؛ فمن ذلك رأينا أن ننقل فى هذا المكان من الصحيفة بين كل آونة وأخرى ، حديثا من أحاديث النادى فى مجالس رواده ، ينقل صورة من شاهده لغائبه ، ويسجل ما فيه من لذة وفائدة إلى قراء صحيفة دار العلوم ؟

فى تمام الساعة السابعة من مساء الخميس ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٧، حفل النادى بحضرات المدرسين الأوائل للغة العربية ، فى القاهرة وضواحيها . وجمهرة مدرسى السنة التوجيهية ، وبعد أن استقروا بالغرفة الكبرى والبهو ، قام حضرة الأستاذ نجيب حتاته رئيس النادى ، وهنأ حضراتهم بالعام الجديد ، راجياً لهم السلامة والعافية ، متمنياً التوفيق والسداد ، ثم قال: ليس اجتماعنا فى النادى للنقاش الأدبى والعلمى أمراً جديداً ، فإن ذلك مقرر فى جلساتنا الإدارية منذ زمن ، وسنتحين الفرص الملائمة للإكثار من هذه الاجتماعات، حتى يكون حديث النادى باباً من أبواب صحيفتنا ، يطالع القراء بالطريف المفيد ، ويمدهم بأحدث الآراء ، وخلاصة أفكار المتحدثين ، وستتكلمون الليلة فى منهج الأدب عامة، فى المدارس الثانوية، وفى منهج السنة التوجيهية خاصة، وأقرر فى كلمتى الموجزة هذه أن السنة التوجيهية ليست جديدة عليكم ، فكلكم خبير بالأدب وتدرجه ، دارس لعصوره وخصائص كل عصر ، ودليلى على ذلك أن أسرع حضرات الإخوان ، فتسابقوا إلى الكتابة فى موضوعات المنهج الجديد ، قبل العام الدراسى بزمن، وطبع ذلك فى عددين من أعداد الصحيفة ، ونباشر الآن طبع العدد الثالث وفيه بعض الموضوعات الباقية ،

ولا ريب أن الذين كتبوا ومهدوا لهذه السنة وعبدوا طريقها قد بحثوا ونقبوا واطلعوا. كما تدل على ذلك مقالاتهم القيمة، وبحوثهم المستفيضة، وإنا لنرى المصادر التي دونوها عقب بحوثهم، فتملؤنا الغبطة، ونعجل بالثناء عليهم، والشكر لهم.

ليس الغرض من اجتماعنا البحث في منهج الأدب، من حيث المادة والعلم، وإنما الغرض سيتولى شرحه بالتفصيل الأستاذ الجليل عبدالحميد حسن، فإنه لاحظ في تفتيشه. وسمع لحضرات الذين مر بهم، ما يوجب التحدث إلى حضراتكم، ويحتم المناقشة في شئون هذا العام الدراسي الجديد؛ لتتفق كلمتنا، ويتوحد رأينا، في أنجع الوسائل، وأحدث الطرق في هـذه التجربة الجديدة، وأنا واثق بأنكم ستجلون في ميدانها، وتفوزون بالتغلب على صعابها، إن كانت ثمة صعاب.

ثم وقف الأستاذ عبدالحميد حسن فقال: سنبحث الليلة في أربع نقط، وقد يتجلى لنا في أثناء البحث، ما يزيدها إلى خمس أو ست، وتلك النقط التي يدور حولها الكلام هي:

الأدب - تاريخ الأدب - مدرسو الأدب.

الطريقة في تدريس الأدب - قواعد النقد الأدبي.

وأبان أن المهم الليلة البحث في الطريقة التي تكفل المدرس الرضا والطمأنينة في عمله، وللطالب النجاح والفوز. سنرى أيلقي المدرس ما يريده من الحقائق الأدبية في قالب طريف يدونه الطلاب؟ أم يحاضر شارحاً موضحاً بالأمثلة، والطلاب يدونون كل ما يقال؟ وأرى أن الجهد في هاتين الطريقتين يبذل من جانب واحد هو المدرس، أما الطالب فلا عمل له سوى عمل الآلة الكاتبة؛ أما الطريقة المثلى في رأيي فهي أن يعد المدرس درسه إعداداً تاماً بالاطلاع على المصادر المختلفة، ويهضم كل ما قرأ، ويكون له بعد هذا شخصية هي شخصية الأديب المتمكن، والمدرس القادر، ثم يدخل الفصل فيلخص درسه في عناصر أصلية تدون على السبورة، ولتكن أربعة مثلا، وعليه أن يناقش ويشرح مستخلصاً لكل عنصر نقطاً فرعية هي أشبه بالخطوط الأولى في دروس الرسم والتصوير، حتى إذا ما علم الطلاب العناصر وفروعها جيداً، كتبوا خارج الدرس العبارة الدالة على الفهم المؤدية لكل ما شمله الدرس. وقد رأى بعض الحاضرين الاكتفاء بالمحاضرات

من غير عناصر مطلقاً ، واعترُض على هذا. ورأى آخرون التمهل فى الإلقاء ليتمكن الطلاب من الكتابة، واعترض على هذا بأن الدروس عند الطلاب تكون حينئذ نسخة واحدة من مذكرة أو كتاب. ورأى آخرون الرجوع بالطلبة إلى مذكرات وكتب بعد المحاضرة ، ولم يحز القبول أيضاً لأن المصادر كثيرة وليست فى الوسع ، ولأن ترك الطلاب على هذا النحو يجعلهم يهيمون فى أودية متباعدة غير متلائمة ، وقد لا يتلاقون إلا بعد لأى، وكان الأستاذ عبد الحميد يناقش كل اقتراح بما عهد فيه من دقة ولباقة ، وقد رأى بعض حضرات الإخوان أن يكتب المدرس فى جهة من السبورة الشواهد المؤيدة للرأى ، فأصبحت الطريقةُ المثلى التى حازت القبول لدى الجميع تتلخص فى :

١ ـ إعداد المدرس درسه إعداداً تاماً بالاطلاع على المصادر المختلفة ، وهضم كل ما قرأه وتكوين شخصية له محترمة .

٢ ـ تدوين العناصر الأصلية مرتبة على حسب المادة .

٣ ـ شرح كل عنصر واستخلاص نقط فرعية تدون توضيحا للعنصر .

٤ ـ تدوين الشواهد المؤيدة للشرح فى جانب لينقلها الطلاب فى كناشاتهم

٥ ـ يكلف الطلاب التعبير عما فهموا بدقة على أن يكون لهم شخصية فى التعبير وإذا كانت هناك كتب للاطلاع والمراجعة فليكلف الطلاب أيضا الاطلاع عليها .

وقد قال بعض الإخوان : إن فى الاطلاع عقبة هى ندرة الكتب وقلتها وعدم وجودها بالمكتبات المدرسية ، وقد ذلل الأستاذ عبد الحميد هذه العقبة فأشار أن يتفق حضرات المدرسين الأوائل على الكتب المفيد الاطلاع عليها ويكتبوا للوزارة رسميا بجلبها وما أسرع تلبيتها حين ترى الحاجة ماسة .

وقد رأى بعض الإخوان بعد هذا أن يرجع فى الدراسة لهذه السنة إلى المعهود فى الدراسة الثانوية ، أى تكتب المذكرات ويعود الطلاب إليها ، مدللا على رأيه بأن السنة التوجيهية إن هى إلا مكملة للثانوى وجزء منه .

وقد نقد هذا الرأى بأن التوجيهية فى الحقيقة وسط بين عهدين وتعليمين ،

فينبغى أن تكون صلتها بهما قوية ، وعلى هذا لا بد أن تكون مؤهلة للتعليم الجامعى، وذلك يقتضى أن تكون الطريقة كما سبق؛ ولقد وقف الأستاذ عبدالوهاب حموده وءافق على الطريقة السابقة وهون الأمر فقال : إن بعض نقط المنهج يستطيع الطلاب أن يجدوا فيها المراجع الكافية التى تؤهلهم للكتابة من غير حاجة إلى التلخيص والتحضير فى الدرس، وبعض النقط لا يختلف فيها المدرسون: كالتعاريف التى لا بد من ضبطها وحدها ولا مجال للإنشاء فيها .

وفى المنهج نقط لا تستدعى طويل بحث ، تلخص فى كلمات موجزة ، وأظن أن المدرس القدير الموفى صناعته حقها ، خبير بالطرق المؤدية به إلى الغاية ، عليم بما يرقى بطلابه إلى المستوى اللائق بهم . ثم تقرر فض الاجتماع على أن يستأنف فى مساء الخميس المقبل لمعرفة الكتب التى تفيد هذه السنة ، وللمناقشة فى بعض نقط المنهج فى القواعد ؟

حفلة تكريم

وجه حضرة صاحب العزة صادق جوهر بك ناظر دار العلوم ، وهيئة التدريس بها ، الدعوة لحضور حفلة الشاى التى أقيمت بفناء الدار فى تمام الساعة السادسة بعد ظهر يوم السبت ٢٦ من يونية سنة ١٩٣٧ ، لتكريم حضرات الأساتذة: الشيخ محمود أحمد البطراوى ، وأحمد التونى افندى ، والشيخ على حسنين ؛ لمناسبة اعتزالهم الخدمة .

وقد أم الدار أساتذتها ، ونخبة من خريجيها ، وطائفة من كرام المدعوين ، وتوسط الحفل حضرة صاحب العزة ناظر دار العلوم ، وإلى جانبه المحتفل بهم ، وحولهم المدعوون من الزملاء والأصدقاء . ثم قدم الشاى والحلوى ، وأديرت المرطبات المثلجة ؛ وأخذ الحاضرون يتجاذبون أطراف الحديث ، وقد صفا الجو ، ورق الهواء ، وانحدرت الشمس إلى مخبئها ؛ وأظلت الجميع تلك الأشجار الباسقة الوارفة الظلال . التى شاهدها جيل من أبناء دار العلوم فى مبدإ غرسها ، حين كانت دانية الغصون ، ثم مرت عليها السنون فسمت فى فناء الدار ، تطل على أبناء دار العلوم ، الذين نعموا بظلها فى إبان نموها .

وحين شرب الحاضرون الشاى هنيئا ، قام حضرة صاحب العزة صادق بك جوهر ، فرحب بالحاضرين ، وشكرلهم تلبيتهم الدعوة ؛ ثم هنأ الأساتذة الثلاثة بما لهم من الماضى المجيد ، الحافل بالجد والإخلاص فى العمل ، وبما أحرزوا من مكانة فى القلوب ، وقال : إن اعتزالهم الخدمة إنما هو انتقال من الجو المحدود إلى الحياة العامة ، حيث يتسع المجال لجهودهم الشاملة فى خدمة اللغة والأدب . ثم شكر الحاضرين ، وتمنى للمحتفل بهم حياة سعيدة طيبة .

* * *

ثم قام الأستاذ زكى المهندس ، أستاذ التربية بدار العلوم فقال :

إننى لا أكاد أصدق أن ما أرى من تكريم هؤلاء الفرسان الثلاثة هو لمناسبة

إحالتهم إلى المعاش ، وذلك أن عهدنا بمن يحالون إليه أن يتجلى على وجوههم عراك الزمن : من انحناء الظهر ، وتهدم الجسم ، ومظاهر الضعف وكبر السن . ولكنى أرى فى فرساننا الثلاثة غير ذلك ، أرى أجساما قوية ، وقلوبا فتية ، وصحة تترقرق فى محياهم ، وهمة دونها همة الشباب . فيحملنى ذلك على الشك فى أنهم بلغوا السن القانونية حقا ، وأنهم قد أحيلوا إلى المعاش لبلوغهم سن الستين .

وإنى أهنئهم على خروجهم من الخدمة فى صحة سابغة ، وأسأل الله أن يديمها عليهم .

ويقينى أنهم إذ يغادرون العمل الرسمى فى التعليم ، إنما يخرجون من دائرة محدودة ، إلى دائرة واسعة ؛ حيث يزداد نفعهم ، وتثمر جهودهم ، وتجنى دار العلوم وأبناؤها من تجاربهم أينع الثمرات ، وأسأل الله لهم حياة طويلة عريضة ، على حد ما كان يقول ابن سينا ، وهو : اللهم إنى لا أسألك حياة طويلة ، بل حياة عريضة .

ثم تمنى حضرته للمحتفل بهم صحة وافرة ، وحياة هنيئة .

***

ثم قام الأستاذ أحمد يوسف نجاتى ، أستاذ الأدب بدار العلوم ، فألقى الكلمة الآتية :

رأيت من بعض إخوانى ميلا إلى أن ألقى فى هذه الحفلة الأخوية كلمة ، فلم أجد بُدًّا من تلبية الطلب ، وإنى لأرجو أن أكون ترجماناً صادقاً ، معبراً عن عواطفهم وشعورهم ، ولساناً ناطقاً بما تكنه أنفسهم ، فأقول :

ودَّعَتْ دار العلوم فى سنوات متفرقة مضت ، كثيرا من أساتذتنا الذين أدوا حقوقها المجيدة بها ، وشكرت لهم حميد سعيهم ، وحسن بلائهم ، وعظيم إخلاصهم ، ولكن لا أذكر أن اتفق فى حياتها الدراسية الطويلة ـ على وفرة نتاجها ، وجليل ثمراتها ـ أن ودعت مرة واحدة أعلاما ثلاثة ، سعد عام واحد بمولدهم ثلاثتهم جميعا فيه . بل إن دار العلوم لتودع اليوم من أساتذتها الكرام أقانيم قدسية ثلاثة يؤلفون مثلثا تساوت أضلاعه فتساوت زواياه ، ثم تحول إلى دائرة منتظمة لا يدرى أين طرفاها ، فأفضلهم : الأستاذ الجليل أحمد التونى ، لا نبالغ

أفضلهم: الأستاذ العظيم محمود البطراوى، لا. بل أفضلهم: الأستاذ النبيل على حسنين عبد الوهاب الأسيوطى، لا بل كلهم أفضلهم وخيرهم جميعهم ـ وقد يعترضون على بأن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه، وبأن الشىء لا يفضل على نفسه، فأقول: إنهم كل واحد وحدة ماتئمة، كل فرد منهم بعضها، وإن فى كل منهم مزايا شتى، ومناقب مختلفة، ومآثر جمة، يختلف معها الاعتبار فيصح التفضيل.

من تلق منهم تقل: لاقيت سيدهم   مثل النجوم التى يسرى بها السارى

نعم أيها السادة اليوم وفى دينه لداخل دار العلوم ثلاثة من أكرم أبنائها عليها، وأكثرهم براً بها، وأشدهم غيرة على رفيع منزلتها، وحرصا على المزيد من تقدمها ونهضتها، وعملا على ما يسمو بقدرها ويعلى شأنها، حتى يبلغ السماء مجدها وسناؤها، وما منهم إلا من هو فى هيكلها الأعظم بناء متين الأركان، محكم البنيان، موثق الأساس، قوى الدعامة. وكأنى بها تنشد نفسها، فى أسف تمازجه غبطة وابتسامة عذبة تشوبها لوعة:

ولو كان أمرى واحدا لاحتملته   ولكنه فرد، وثان، وثالث.

وستشعر دار العلوم بهذا الفراغ الذى يخلفونه. فيطول جهدها حتى تملأه، وستحس حاجتها شديدة إلى سد تلك الثغرة. وبناء هذه الفرجة، وإن كان يهون وجدها من توديعها إياهم، أن قلوبهم معها، وميلهم اليها، وأن آثار مجهودهم لا تزال ماثلة بها، وأنهم يمدونها، بروح من عندهم، وأنهم يستقبلون فى الحياة الجديدة، الحرة المديدة، الهنيئة السعيدة، الطيبة الرغيدة، عهدا حرا، سيطول باذن الله أمده، ويكثر خيره ومدده، ويتضاعف بره ورفده، ويستأنفون حياة راضية، حرة طليقة من كل قيد، يملكون بها الترفيه عن أنفسهم، ومنحها حظا من الراحة المجدية، تستجم فيها القوى: لمواصلة ما ألفوه من العمل فى خدمة الأمة، بل فى نفع المجتمع العام. فلا يزال فيهم، مع حكمة الشيوخ ومعرفتهم، نشاط الشباب وحماستهم، ومع عقول الكبار وتجاربهم، قدرة الفتيان وطموحهم، وكل منهم ممتع بعقل ناضج قوى، وقلب نابض فتى، وصحة نرجو الله أن يسبغ عليهم بردها ضافى الذيول، سابغ الأطراف، وأن يرفلوا فى حللها مرحه الأعطاف.

ولكل منهم ثقة عظيمة بالنفس، متينة العرى ، قامت على أساس رصين من الخلق الكريم، والعقل الحكيم، والدين القويم، ومن إجماع العارفين على فضلهم وتقدمهم، وقدر كرام الناس إياهم حق قدرهم ، وسيضيفون إلى سجل عمرهم الصالح الخالد، الذى ازدانت صفحاته بجلائل الأعمال، وعظيم الآثار، صحائف مجد أخرى كثيرة، يخدمون بها فى حرية تامة، وانطلاق من قيود الوظائف، وطنهم الكريم، ومعهدهم العزيز، ودينهم القويم، ولغته الشريفة، بما يعهده الناس فيهم : من علم جم ، وذكاء نادر ، وأدب غزير ، ودين متين ، وخلق عظيم ، وتجربة حكيمة ، وخبرة عليمة ، وإخلاص يزين كل عمل ، ويثمر به كل جهد .

هذا . ولقد بدا لى أن أشبه كل واحد منهم بمن يناسبه من فحول السلف الصالح الأقدمين ، وأساطين العلوم والمعارف الماضين ، فتنازع الأستاذ التونى جماعة من أكابرهم عجبت أن كان جميعهم من أبناء فارس، أبوا إلا أن يكون هذا المصرى العربى خلاصة طائفة نجيبة منهم، أومزيجا صالحا مؤلفا من عناصرهم ، وهم: شيخ اللغة سيبويه عمرو بن عثمان . والإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ، وفخر الدين الرازى ، وجاد الله الزمخشرى ، والرئيس العليم أبو على بن سينا ، والأستاذ الرئيس ابن العميد ، فسلمت لهم وقلت :كرامة ونعمى عين، لو تعلق العلم بأهداب الثريا لتناوله رجال من فارس . وأما الأستاذ البطراوى فاتفق عليه العجم والعرب، كما اجتمع فيه العلم والأدب ، وألف بين الدين السمح، والفكاهة الحلوة، والطرب، فكان أستاذ الأساتذة: الخليل بن أحمد ، وأحد الحَمَّادَيْن: حماد الراوية أوحماد عجرد؛ يمتزج معهم الفراء والكسائى ، ويضرب معهم بسهم الأدب والرواية أبو الفرج الأصفهانى ، يتمم جماعتهم أبو نصر الفارابى . وأما الأستاذ على حسنين عبد الوهاب فبخ بخ ... شيخ اللغة والدين ، وبقية الأئمة المجتهدين ، يأخذ العلم والأدب والدين عن سائر الناس ، ولم يبال باختلاف الطوائف والأجناس، فهو أبو موسى الأشعرى، ولكن فى تقوى حذرة ، ودين ذى حنكة وحيطة ، يضم إليه الإمام الورع أحمد بن حنبل ، والراوية الثقة التقى ، عبد الملك بن قريب الأصمعى ، وأبو العتاهية، يقوّمه حجة الاسلام أبو حامد الغزالى ، يضاف إلى جماعتهم عبد القادر الجرجانى ،

والقاضى القاضل عبد الرحيم البيسانى ، ثم هو بعد ذلك الجلال السيوطى . تلك ظواهر عجيبة تعز على التحليل ، وتستغنى بنصوع أدلتها وبالغ حجتها عن التدليل . عاشرت ثلاثتهم عشرة طالت وطابت ، فأحمدت العشرة ، وأكبرت الفائدة ، وأعظمت الثمرة ، ووجدت من إخوانى كلهم إجماعا على رجحانهم ، واتفاقا على فضلهم ، وثلاثتهم مثلى مخضرمون طويلا ، عاشروا بدار العلوم كثيرا من نظارها الكرام ، الذين تبوءوا الدار والإيمان ، وازدهى بهم ظرفا المكان والزمان ، فخدموها بسديد آرائهم ، وعظيم خبرتهم وحكمتهم . وأجمعوا على حسن الثقة بأساتذة اليوم والإشادة بفضلهم ، جزاهم الله خير الجزاء ، وجزاء الخير .

ولقد كان من يمن الطالع ، وسعد الفأل ، وحسن الحظ ، أن كان يومنا المبارك هذا فى عهد ناظرها الحالى : ذلكم الرجل الكامل ، والهمام الأبى ، والنقادة الخبير ، المصفى من أطيب عنصر (وأصدق جوهرة) وفى وزارة الأمة الشعبية المحبوبة ، المؤيدة بإجماع الثقة التامة ، والتى نالت مصر فى عهدها السعيد ، ما كانت تجاهد له ، وتسمو إلى الحصول عليه ، فى ظل جلالة الملك المحبوب ، زين الشباب ، وقرة عين مصر ، الذى حل كل قلب ، ودان بولائه كل نسمة من الشعب ، وحسب دار العلوم بهذا كله قوة وعونا : تستمر بهما سائرة قدما . ظاهرة على الحق ، مؤدية رسالتها على أكمل وجه ، فإنه كلما تقدمت الأمة فى العلوم والمعارف ، واتسعت دائرة ثقافتها ، وارتقت آدابها وأفكارها ، زاد شعورها بالحاجة الملحة إلى هذا المعهد الكريم ، الذى فيه تحيا لغة الكتاب العزيز ، والمدرسة التى بارك الله فى حياتها ، فأمدت الأمة بالحامين الأكفاء ، وتخرج فيها من ولوا الأعمال المختلفة ، فأبانوا عن كفاية وغناء ، والذين نهضوا باللغة ، وأقالوها من عثرتها ، وأخذوا بضبعيها ، وأشرفوا بها على اليفاع ، وجاهدوا بكل قوة ما كان فاشيا فيها من ضعف ، وبذلوا فى خدمتها ثمين وقتهم ، وكان لهم من عظيم الخبرة ، وقوة المعرفة ، ومن اضطلاعهم بالأدب العربى : قديمه وحديثه ، وتمكنهم من الوسائل القوية التى تنهض بها اللغة وآدابها وعلومها ، ومن إحاطتهم خبرا بأسرار اللغة وبلاغتها ، ووقوفهم التام على مناحى القول فيها ، ومن القدرة الكافية على تفهم الأدب العربى البليغ فى كل

عصوره ، وعلى الانتفاع به وتعريف الناس قيمته ، ومن تتبعهم لحركات الأدب الحديث ، ووقوفهم على أطواره ، ومن إلمامهم بالقدر الصالح من المعارف والعلوم التى لا بد منها فى حذق الأدب ، وجعله مفيداً مثمرا ـ ما أتاح لهم أن يسايروا الثقافات الجديدة القويمة ، وأن يكونوا فى طليعة الأمة مسايرة للزمان ، وعلما بحاجاته ، وتقدما فى الثقافة العربية المصرية خاصة ، والثقافة العامة عامة ، وقياما على الأدب وتوجيها له الوجهة النافعة ، وذيادا عن اللغة ، وصدا لغارات أعدائها عنها ، ولها من نصر الله أكبر معين ، وأعز ناصر ، ومن الثقة بحضرة صاحب المعالى وزير المعارف الجليل ، ووكيله حضرة صاحب العزة الأستاذ الأديب نعم الوكيل ، ما تتم به لَأْمَةُ الجهاد ، وتكمل به العدة والعتاد ، فتفرغ إلى إمداد الشعب بما تشتد حاجته اليه من أدب حى راق صالح ، لا يرتضخ لكنة ، ولا يتعثر فى منة ، فيغذى العقول والأفكار ، وينمى الملكات ، وعساها تقوى على عوامل أخرى ، ليس أمرها بأيدى أبنائها ، إذن تكون آثار جهادهم فى هذه الناحية الشريفة أقوى وأكثر ، وثمار كدهم وجهدهم أحسن وأطيب ، إن شاء الله . ولا يفوتنى قبل ختام كلمتى ، أن أقدم جزيل الشكر ، لحضرات السادة الذين شرفونا بإجابة الدعوة ، وانتظم بهم عقد الحفلة ، وأن أخص بالشكر الجزيل ، والثناء الجميل ، حضرة صاحب العزة محمد فهيم بك ، عميد أصدقائنا وإخواننا البررة ، الكرام الخيرة ، نضر الله وجوههم ، وشكر لهم صالح سعيهم . ثم أقول : هنيئاً للفرسان الثلاثة أن سبقوا إخوانهم مجلين ، وأن فاقوا فى الميدان أقرانهم مبرزين ، وهنيئاً لهم ماخلفوه : من أثر يضوع ولا يضيع ، وجهد خصب مريع ، وذكر جميل يطيب نشره ، وثناء يتأرج شذاه وعطره ، وسعى مشكور ، طوقوا به جيد المعارف قلائد منن ، لا يفكها الملوان ، وبلاء حسن دون لهم سفرا خالدا لا يزال يتلوه لسان الزمان . والله تعالى ، وكرام خلقه ، يشكرون لهم ما أسدوه من مبرات ، ومن أياد غرٍّ كانت بها أيامنا مشرقات منيرات ، والعاقبة عندنا إن شاء الله تعالى فى المسرات .

° ° °

ثم قام الأستاذ عبد المغنى المنشاوى الأستاذ بدار العلوم فألقى القصيدة الرائعة الآتية :

قصيدة الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

المدرس بدار العلوم

دارَ العلوم ودارةَ الأخيارِ ... حيِّ حياةَ ثلاثةِ الأقمارِ
أطلعتهم شرخَ الشبابِ أهلّةً ... فسَرَوْا بدوراً غيرَ ذاتِ سِرَارِ
خَلعتْ على الوادى سناً ومعارفاً ... باتا هُدَى الأبصارِ والأفكارِ
نُورُ السماء يشعُّ فى نَوْرِ الرُّبى ... ما أروَعَ الأنوارَ فى الأنوارِ!
أرأيتِ قبلهمُ بدوراً أزْمَعتْ ... فى ليلها الأسفارَ فى الأسفارِ
باتت تُصَعِّدُ فى سماء بيانها ... حتى تبدَّى الليلُ صَحْوَ نهارِ
فسلوا أشعّتَها نُشِرْنَ حبائلاً ... أأتتْ ببدرٍ، أمْ أتتْ بدَرارى؟
حتى إذا ولَّى السُّرَى حَمِدُوا السُّرَى ... ومَضَوْا لدرسٍ مُعْنِتٍ جبّارِ
الليل يطويه اقتناص شواردٍ ... واليوم ينشره كِفاحُ حِوارِ
يانافسينَ على المعلمِ حظَّه ... حظُّ المعلم جنّةٌ فى نارِ
الفارس المِغوار يَقْصُر جهده ... عَنْ تضحياتِ معلمٍ مِغْوارِ:
فأداة هذا سيفه، وأداة ذا ... كَدُّ النُّهَى والسَّمْعِ والأبصارِ
قتلَ المعلمُ نفسه بوفائه ... وبما يرَى فى عِيِّهِ من عارِ
بسوادِ عينيه يخط صحائفاً ... شَرُفتْ بهنَّ صحائف الأبرار
إجْزوه بعضَ جزائه؛ فمقصِّرٌ ... مَنْ يجز بذل الرُّوحِ بالدينار
من يعجز الثقلان عَنْ إنْصافه ... ينصفه عدل الواحد القهّار

زفُّوا تهانيكم إلى من ملكوا بحبوحةَ الإطلاقِ بعدَ إسارِ
قد بدَّلوا عيشاً رزيناً خافضاً من عيشِ لا أمنٍ ولا استقرارِ
أولى بتهنئةٍ صحاحٌ بلغوا رغمَ الجلادِ رحابةَ الأعمارِ
عيشوا معَ السّتّين أخرى غيرَها فى غيرِ ما همٍّ ولا أكدارِ
واستقبلوا فى كلِّ يومٍ بهجةً فزمانكم آذارُ فى آذارِ
وتذاكروا معنى الحياةِ رضيّةً وانسَوا شروطَ النّمتِ والإخبارِ
ودعوا لنا عيشَ الوظيفةِ إنّه قيد العقولِ وربقة الأحرارِ
هنُّوا الموظَّفَ لو يفوز بجلده إنّ الوظيفةَ داؤه المتوارى

ثم تعاقب المحتفل بهم فارتجلوا من رصين القول ما عبر عن صادق وجدانهم، وعظيم إخلاصهم لدار العلوم ورجالها ، وشكروا للحاضرين حفاوتهم بهم ، وتمنوا لهم أطيب الأمانى .

٭٭٭

وإن جماعة دار العلوم ، وناديها ، وصحيفتها ، لتقدم للأساتذة الثلاثة . عظيم إجلالها وخالص تهنئتها ، على ما اتصفوا به من مآثر . جمعت القلوب على مودتهم ، وأطلقت الألسنة بالثناء عليهم ، وترجو لهم حياة ناعمة مليئة بالخير وجليل الأعمال .

فى الأدب القصصى

المخطــوفة

بقلم إسماعيل العربى
المدرس ببنى سويف الثانوية

الفصل الأول
الزوجة

كان حمدان فتى من فتيان تلمسان (إحدى بلاد المغرب) مات أبواه صغيراً ، فنشأ فى أحضان البؤس ، ودرج من حجر الفاقة ، ودخل مدرسة الدهر . وهو غض الإهاب . وبدأ يعمل بأجر زهيد ولكنه شب مفتول الذراعين ، قوى الساعدين ، قد وهب له الله بسطة فى جسمه ، ورجحاناً فى عقله ؛ فراح يجالد بهما الحياة ، ويكافح الدهر ، ويدأب فى العمل ، وأخذ يدخر من أجره ما زاد عن حاجته .

مضت أعوام تلو أعوام ، حتى بلغ حمدان مبلغ الرجال ، وصار بشراً سوياً ؛ ففكر أن يغير مجرى حياته ، ويتخذ له زوجة تشاطره الحياة : تشاركه فى النعماء ، وتواسيه فى البأساء ، ويسكن إليها وقت فراغه . وتشد أزره فى أعماله ، وتجدد ما أخلقه الدهر من قوته ، ويملأ حبها قلبه ، ويطرد بها شبح الوحدة ، وتنجب له من البنين والبنات من تقربهم عيناه ، ويخف بهم عناه ، وتخلد ذكراه .

أكد عزمه ؛ فأخذ يرسل سمعه وبصره ، وراء فتيات قريته ، اللاتى من طبقته ، حتى أعجب بواحدة منهن ، امتازت بأسَل الخد ، واعتدال القد ، وخلق كريم ، وقلب سليم ؛ فتقدم إلى ذويها خاطباً ، فأجابوه إلى سؤاله ، وزفت إليه زينب ، وانتقلت إلى كوخه ، فوجد فيها أمله ، وأفرغ عليها حبه ، وابتسمت لهما الحياة ، ورفرفت عليهما السعادة ، وامتزجت نفساهما وصارا كلاً بقاؤه.

فى التركيب ، وعدمه فى الانفصام ، وتولد من هذا المركب جزىء أصبح مركز الدائرة ، وقطب المغناطيس ، وأثمرت شجرة الحب ثمراً شهياً طالما اشتاقا إليه ، وبزغ فى كوخهما كوكب طالما رصداه ، وولدت عائشة لهما . فكانت السمع والبصر والفؤاد .

ما أقصر أيام الصفاء وإن طالت ! نعم فقد عاد حمدان مثقل الرأس ، فاتر الطرف ؛ فهرعت إليه زينب فى لهفة تسأله : ما بك ؟ فأجابها : ألم خفيف شعرت به . فمهدت له وطاءه ، واستلقى عليه ، وبسطت فوقه غطاءه ، ثم جلست تتنبأ وتسأل عن سبب ألمه ؛ فتقول : لعله البرد لم تأخذ منه حذرك ، أو لعله التعب مما أجهدت به نفسك ، وعما قليل تذهبه الراحة ، ويفنيه النوم ، ولم يصدق حدسها ؛ فما قد دالت دولة الظلام ، وأسفر الصبح ، وحمدان يتململ من الحمى ، وقد سرت فى جسمه سريان النار فى الهشيم ؛ فسقط فى يدها ، وتسرب الخوف إلى فؤادها ؛ فأخذت تحنو عليه تتحسس موضع الداء ، وتتعرف موطن العلة ؛ فلا تمس إلا ناراً ذاكية ، وجسما عانيا ؛ فيطبق عليها الفزع ، ثم لا تلبث أن تحتمل ابنتها ، وتعرج بها إلى سطح الكوخ ، وتقلب وجهها فى السماء ، ويلهج لسانها بالدعاء : اللهم إن كنت لا أستحق رحمتك ، فارحم هذه المسكينة التى لم تسىء بيد ولا لسن ولا إضمار ، ولا تذقها حرارة اليتم إنك رءوف رحيم . ثم تنقلب باكية حتى إذا أطفأت جمرة حزنها - بل زادتها اتقادا بدموعها

أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

- عادت إلى حمدان ، وجلست بجواره لا حول لها ولا قوة ، إلا أن ترسل كلمات ترفه عنه ، وتذكر له أن الشفاء منه جد قريب .

مرت أيام ذاق فيها من صنوف الآلام ، وقاسى من سورة الحمى ، ما نهك جسمه ، وعرق عظمه ، وضعف عن احتماله . فأسلم الروح إلى بارئها ، واحتواه الرمس ؛ ومضى كأن لم يكن بالأمس .

لك أن تبكى يا زينب ما تشائين ، وأن تسكبى على قبره دمعك السخين .

فابكى بمحمر الدموع وإنما تبكى العيون نظيرها بنضار

واندبى سوء الحظ ونكد الطالع ، فقد اختطف الموت عمادك فى الحياة ، وجنبك من الكوارث،وحافظ وجهك أن يريق ماءه السؤال ، أو التكسب بوضيع الأعمال .

اللهم لا راد لقضائك ، ولا معقب لحكمك ، ولا رحمة تدانى رحمتك ، فقد حرمت زينب عائلها وسندها فى الحياة ، وفجعتها فى أعز مخلوق عليها . ولكنك منحتها صبراً جميلا ، وعزاء بتلك الريحانة التى أخذت تنمو وتترعرع . فكانت سلواها وأملها ، فاستأنفت حياة الرضاء والتسليم ، وخرجت تعمل فى دور الأغنياء . ومضت السنون ، فكبرت عائشة وجاوزت عامها السابع ، فرأت الأم أن تتخذها عوناً لها ، فألحقتها بخدمة أسرة صالحة فى المدينة . وكانتا إذا أرخى الليل سدوله تعودان إلى كوخهما ، فتنعم الأم بقرب ابنتها ، وتتجاذبان الحديث ، حتى يأخذ الكرى بمعاقد الأجفان . فإذا ولى الليل الأدبار قامتا إلى عملهما . وعادتا إلى سيرتهما الأولى .

الفصل الثانى

الوحش الإنسانى

على بعد أميال من تلمسان أخبية متناثرة ، تخالها إبلا حل بها الإعياء ، فأناخت فى البيداء . سكنها جماعة من الأعراب ؛ لا يعرفون من الدين إلا اسمه ، ولا غرو ؛ إنهم أبناء الصحراء قد خلعت عليهم جفافها ، وأورثتهم خشونتها ، وصاغت قلوبهم من حجارتها .

كان من عادة هؤلاء القوم أن يفدوا إلى المدينة ، حاملين صوف أغنامهم ، أو ماحاكته نساؤهم ، ليبيعوه فى أسواقها ، وليشتروا ماقدروا عليه من خيراتها . فإن أعجب أحدهم بما لم يستطع له شراء أخذه خلسة أو غصباً (والأمن فى هذه البلاد قد اضطرب ، والحق فيها لمن غلب) وكان من بينهم رجل يدعى سليما قد لبس جلد النمر ، وخلق من غير قلب ، وعاث فى الأرض فسادا ، فكم أدمى من قلوب . وفتت من أكباد ، وقرح من جفون . وفرق بين الولد وأبيه ، أوفصيلته التى تؤويه ، بخطفه وبيعه ؛ فقد كان يفد إلى المدينة ويسير فى الطرقات ،

حتى إذا عن له صيد (وما صيده إلا البنون والبنات) نصب له شراكه . وألقى عليه حبائله حتى يفوز به ، فينقلب إلى أهله مسرورا .

بينما هو فى إحدى جولاته ، وقد خرجت عائشة مولية وجهها شطر الكوخ ، تسير فرحة طروبا ؛ تعلل نفسها بقرب لقاء أمها ، فتثب من ناحية إلى أخرى وثبات العصفور المرح من غصن إلى غصن ، فى يوم من أيام الربيع الساحرة — إذ رآها سليم ، فتنبهت فيه غريزة الشر . ووجد فيها بضاعة غير مزجاة ، ففكر ثم قدر ، واستنبط الحيلة . وأعد عدته ، ورسم خطته ، فمشى عن كثب منها حتى عرف اسمها . ثم تقدم إليها وأخبرها أن أمها فى زيارة لأهله . وقد طلبت منه أن يحضر لها عائشة ، وتلافريته بالحلوى قدمها إليها . فانخدعت المسكينة بقوله ، ورأت ظاهره فيه الرحمة ، ولم تدر أن باطنه من قبله العذاب ، ومضت معه ، وقد جذبها بعذب حديثه ، واستمالها بحلواه ، إلى أن دنا من الصحراء ، فتلفت حوله خائفاً يترقب ، ولم يلبث أن عاد إليه أمنه لما رأى الطريق خالية . وانقض عليها واحتملها ، وكتم فاها . وعرفت منه الغدر وسوء القصد ، فصارت تتلوى بين يديه ، كما يتلوى الفرخ ينزع من عش أبويه ، ولكنه أحاطها بذراعيه ، وهددها إن لم تسكن إليه ؛ فسكن جسمها ، وتحركت عيناها ، وانتحبت نحيب اليائس من الخلاص ، وبكت بكاء المسافر لم يجد من فراق أهله المناص . ثم أنزلها تسير ، فأسلست له القياد فزعا ، وأعطته الزمام كرهاً ، حتى وصل إلى خبائه ، وقد نال منهما التعب ، وأعياهما المسير ، فأمرها أن تنام فأطاعت ، ولكن النوم لم يجد إلى عينيها سبيلا . فباتت ساهدة الطرف ، شاردة اللب .

ولما سل سيف الفجر من غمد الدجى نهضت من مرقدها ، فألفته يعد راحلته ، ويهيء زاده ، فارتاعت وهوت على يده لثما وتقبيلا ، وتضرعت إليه أن يعيد إليها حريتها ، ويردها إلى أمها . فما كان جوابه إلا أن لطم خدها ، وتوعدها بالمزيد إن لم تعدل عن البكاء .

لك الويل من وغد أثيم . ولص لئيم . ألم تأخذك شفقة بهذه الصغيرة ، ولم يلن لها قلبك ، فكان كالحجارة أو أشد قسوة ، « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله » .

استخذت المسكينة وانكمشت ، ثم ركب جمله ، وأردفها . وجد فى السير حتى دخل مصر ، ونزل بإحدى قراها ، واتصل بجماعة من سراتها ، قد زين لهم ماهم فيه من جاه ونعمة أن يردوا الحُرَّ قِنًّا ، فعرض عليهم عائشة ، فاشتروها بثمن بخس دراهم معدودات ، وتركها بينهم لا يلوى على شىء ، وسار حتى ابتلعته الصحراء .

أما هي فقد تنفست الصعداء ؛ لما خلصت من البقاء فى كنف ذلك الأعرابى ، وأدركت أن بعض الشر أهون من بعض ، ومكثت بين ظهرانيهم أياما ، ثم أهداها كبيرهم إلى صديق له فى القاهرة ، فوجدت فى منزله بعض العزاء .

الفصل الثالث

القلب المحطم

انتظرت زينب سويداء قلبها ، وفلذة كبدها ، فلم تعد (وليس ذلك من عادتها) فاضطربت ، وجرت إلى البيت الذى تشتغل فيه عائشة فلم تجدها ، فهامت على وجهها فى الطرقات ، تسأل الغادى والرائح عنها ، فلم تقف لها على أثر ، فلما أعياها المطاف عادت أدراجها ، والوساوس ملء فؤادها ، ودخلت كوخها ، تسأل جدرانه ، وتستنطق حيطانه ، علها ترشدها إلى عائشة ، وهيهات هيهات ، فقد فر الذئب بالحمل ، وخرج به وثوب الليل مسدول .

قضت ليلة نابغية ، لم تأو فيها إلى مضجع ، ولم يرقأ لها مدمع ، وأخذ الوهم يصور لها عائشة فى صور شتى ، فتارة تظنها قادمة إليها ، فتفتح ذراعيها لتضمها ، وما تضم إلا الأمل الضائع ، واليأس اللاذع ، وتارة تزعم أنها تناديها من وراء الباب ، فتذهب إليه ، وترسل بصرها من خصاصه ، وتحبس أنفاسها ، فلا ترى إلا الخيبة ماثلة أمامها ، ولا تسمع إلا دقات قلبها ، وطورا تتوهم أن ليثا قد انقض عليها ، وحملها إلى الجبل ، وأنشب فيها مخالبه ، فيهلع لذلك فؤادها ، وتتمزق أحشاؤها .

ما أطول ليلك يا زينب ! ما للصبح لم يتنفس ؟ أضل طريقه ؟ أم حبس عن الدنيا كما حبست عنى عائشة ؟ مثل ذلك كانت تحدث نفسها . فلما أخذ الفجر ينشر أعلامه ، وبدأ الليل يطوى صحفه ، ويخفى لآلئه فى أصداف السماء ، وامحت

آيته ، وظهرت آية النهار مبصرة - عاود زينب أملها في العثور على ابنتها ؛ فخرجت إلى السبل باحثة معولة ، فلم تترك بيتاً إلا طرقته ، ولا مارا إلا استوقفته ، وما زالت تنتقل من حلة إلى حلة ، وتميل ذات اليمين وذات الشمال ، حتى مال ميزان النهار ، وانحدرت الشمس إلى مغربها ، فانحدرت هى إلى كوخها ، وقد قر فى نفسها أن عائشة لن تعود إليها .

لقد تجرعت زينب كأس الحزن حتى ثمالتها ، وتقرحت من طول البكاء جفونها ، وتفتت كبدها ، وتيقظ حزنها القديم ، وغدت مهيضة الجناح ، مكلومة الفؤاد ، ترى الأرض غير الأرض ، والسماء غير السماء ، فانتهبتها الأمراض ، وأصبحت كخيال سار لولا أنينها ما تبينتها .

كانت لها جارة طيبة القلب، عرفت أمرها ، ووقفت على ما أصابها ؛ فأخذت تواسيها ، وتؤثرها على نفسها ، فتقدم إليها بعض ما هى فى حاجة إليه ، ولكن زينب لم تطب لها الإقامة فى تلك الديار ، التى أذاقتها لباس الجوع والخوف ، وسقتها من كئوس العذاب ألوانا ؛ فعزمت على الرحيل منها ، عسى أن تجد فى الأرض التى تهبط فيها بردا وسلاما ، يطفىء نار أحشائها ، أو يخفف من لواعج أحزانها ؛ فخرجت مبكرة إلى فج من فجاج الصحراء ، فوجدت قافلة تتأهب للمسير ، وتبغى وادى النيل ، فتفرست فى وجوه القوم ، حتى وقع نظرها على رجل توسمت فيه البر ، وتوقعت منه الخير ، فتوسلت إليه أن يحملها معه إلى وجهته ، فيقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له ، فرق الرجل لحالها ، وأركبها راحلته ، وسارت سفن الصحراء باسم الله مجريها ومرساها .

الفصل الرابع

اللقاء

هبطت زينب أرض مصر ، وألقت عصاها ، واستقر بها النوى فى القاهرة ، وأخذت تستجدى الناس ، وتستندى الأكف ، ولكنها لم تكن بارعة فى حرفتها الجديدة ؛ فراحت تبحث لها عن عمل يشبه عملها الأول ، فوفقت إلى أسرة كريمة ،

قد أسبغ الله عليها نعمه ظاهرة و باطنة ، وحباها الخير العميم ، وجملها بالخلق القويم ، وقد أخلصت زينب فى خدمتهم ؛ فكافئوها بالحسنى وزيادة ، وعاملوها معاملة الولى الحميم . ولولا وخزات الأسى التى تهز فى قلبها لفراق ابنتها ، من غير أن تعرف لها مستقرا أو مقاما - لأحست ذلك النعيم ، الذى تتقلب فى أعطافه ، ولابتسمت لتلك الحياة الجديدة . ولكنها مازالت تذكر عائشة ، وتذرف الدمع مدرارا ، كلما خلت بنفسها .

ومر على مقدمها عام ، ولم يندمل جرح فؤادها ، ولم ينضب معين دموعها !

فى ذات يوم خرجت زينب لبعض شأنها ، فرأت فى الشارع فتاة زعمتها عائشة ؛ فخفق فؤادها ، وهرولت نحوها ، فلما دنت منها تبدل شكها يقينا ، فهتفت باسمها ، فجفلت عائشة ، ثم عرفت الصوت بعد نكر ، فطفرت إلى أمها وارتمت بين أحضانها ؛ فلو شهدتهما لرأيت جسمين اتحدا ، ولسمعت قلبين خفقا ، وثغرين نطقا بالقبل ؛ ووجدت عيونا فاضت بدموع الفرح ، يا له من منظر ساحر ، يعجز عن تصويره أمهر المصورين !

لم تقو الأم على احتمال هذا السرور الذى باغتها ، وأفعم قلبها ، فخرت مغشياً عليها ، ثم أفاقت من غشيتها ، وأخذت بيد ابنتها ، وسارت معها إلى الأسرة التى آوتها ، فلما رأوها مشرقة الوجه ، وضاحة الجبين ، بسامة الثغر ، على غير عادتها ، ومعها فتاة لا عهد لهم بها - أخذ منهم العجب كل مأخذ ، وتهافتوا عليها ، وأغراهم حب الاطلاع أن يسألوها ، فأجابت : إن هذه ابنتها عائشة ، وقد عثرت عليها ، فسألوا : ما خطبك يا عائشة ؟ قالت : خطفنى رجل من الأشقياء ، وخرج بى إلى الصحراء ، ودخلنا بلاد النيل وباعنى من أحد الأثرياء ، فضمنى إلى خدمه ، ثم وهبنى لصاحب له ، وعطفت علىّ زوجته ، وعاملتنى معاملة حسنة ، فسكنت إليها ، ولكن لم أفتر عن ذكراك يا أماه ، فهنأ الجميع زينب ، وأبوا إلا أن يجعلوا من هذا اللقاء عيداً ، فهيئوا وليمة عشاء ، ودعوا إليها الأصدقاء ، وسطروا على باب المنزل بحروف وهاجة الضياء :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا ؟

اسماعيل العربى

نشـــيد المعلمين

لحضرة صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك

عودنا الأستاذ على الجارم بك أن يطالعنا بالجديد الطريف من أدبه ، وهذا لحن جديد من ألحانه ، يحق للمعلمين أن ينشدوه ويباهوا به ، وقد جاء على غرار أدبه الرصين ، وطريقته البارعة :

ملكت مصر زمام العالمين ـ بالعلوم ـ فى حديث للمعالى وقديم
ذكرها حلق بين الأولين ـ للنجوم ـ ووعاه الدهر والدهر فطيم
كوكب فى الظلمات ـ روضة وسط فلاة ـ رمز عزم وحياة
مصر أنت ـ مذ نشأت ـ صفحة المجد سجل الخالدين

٭٭٭

نحن حراس على الكنز المصون ـ العقول ـ كنز مصر ومنى المستقبل
نحن للأخلاق فى مصر حصون ـ لا تزول ـ عزة الشعب بعز المعقل
كم غرسنا من نبات ـ عبقرى النفحات ـ مورق دانى الجناة
كم جهدنا ـ كم سهدنا ـ نهدم الجهل ، ونبنى الناشئين

٭٭٭

تلك فى الأرض حياة الأنبياء ـ والهداه ـ شرف أعظم به من شرف
نحن للأرواح إن عز الدواء ـ الأساه ـ كم وقينا مهجة من تلف
وألنا من قناة ـ فى اعتزام وأناة ـ بالخلال الطيبات
كم بلغنا ـ ما أردنا ـ من صلاح النفس فى رفق ولين

٭٭٭

نرقب الله ونرجوه الثواب ـ فى العمل ـ وعلا مصر المنال الأوحد
مالنا إلا نهوض بالشباب ـ من أمل ـ قوة الأوطان عقل ويد
حسبنا من حسنات ـ أننا فى النهضات ـ أهل جد وثبات
الكفاح ـ والفلاح ـ شيمة الحر ودأب العاملين

٭٭٭

كم صنعنا من عقول ورجال ـ للوطن ـ عرفوا بالنبل فيمن عرفا
ليس فيهم من دعا الحق فمال ـ أو وهن ـ هو مصرى صميم وكفى
هو من نسل الكماة ـ الأماجيد السراة ـ من أتوا بالمعجزات
من يباهى؟ ـ من يضاهى؟ ـ ما لمصر فى مدى المجد قرين

ooo

منشىء الأجيال أستاذ الشعوب ـ والأمم ـ قلما يبلغ فى الدنيا مناه
شعلة تعلو وتخبو وتذوب ـ فى الضرم ـ لتقود النشء فى ليل الحياه
يالها من صفحات ـ طاهرات ناصعات ـ ملئت بالصالحات
كل خطب ـ كل صعب ـ هين إن صح عزم الصابرين

ooo

عاش « فاروق » أمانا ورجاء ـ عاش عاش ـ رافع العلم ومحيي الأمل
بلغت مصر به أوج السماء ـ عاش عاش ـ وغدت سيدة فى الدول
عاش رب المكرمات ـ والأيادى السابغات ـ يفتدى بالمهجات
المليك ـ المليك ـ حبه ملء قلوب المخلصين

على الجارم

في التربية

كيف ندرس الانشاء؟

بقلم عبد العزيز عتيق
المدرس بعباس الابتدائية للبنات

— ١ —

من المتفق عليه أن شكوى المعلمين تكاد تكون شاملة من الإنشاء وطرائق تعليمه فى مدارسنا ، وهم ينسبون الصعوبات التى تعترضهم فى ذلك عادة إلى أمور : أهمها ضيق الوقت المخصص للانشاء ، وقلة محصول الطالب فى اللغة ، ثم إلى طريقة تصحيح الكراسات ، تلك التى يجهد المعلم نفسه فيها خارج الفصل ، ثم لايكاد يفيد الناشىء منها ، أكثر من الاطلاع على الدرجة المعطاة !

وأمام هذه الصعوبات قام كثير من المعلمين أفراداً وجماعات ، بوضع كتب شتى يذللون بها سبل الإنشاء أمام التلميذ والمعلم . ومع أن بعض تلك الكتب قد أهملت فيها قواعد التربية ، ونظر فيها إلى إظهار براعة المؤلف ذاته ، بحشد الألفاظ الغريبة ، والتراكيب المترادفة المتواردة ؛ تلك التى قل أن تستحوذ عليها رءوس الاحداث او تملىء بها نفوسهم - مع كل هذا فانها لم تحدث الأثر الذى كان يرجى منها ! ويقينى أن أمثال هذه الكتب قد أساءت إلى الإنشاء بمقدار ما أساءت إلى الراغبين فيه من الناشئين ، والمشرفين عليه من المعلمين !

فهذه الكتب جناية ماثمة ، يدخل بها المؤلفون على نفوس المعلمين ، وأقل ماينالهم من شرها ، أنها تحبسهم فى دنيا المؤلف ، حيث يجب عليهم أن يكونوا أحراراً ، ينتزعون موضوعاتهم من البيئة والصور القريبة من حواس الناشئين ونفوسهم وأفئدتهم .

ومما لاشك فيه عندى ، أن تلك الكتب تعود المعتمدين عليها الكسل العقلى ، وقلة التفكير ! إذ ما الذى يدعو المعلم إلى أن يعمل ذهنه ، ويكد خاطره ، فى

اختيار الموضوع ، مادامت الكتب بين يديه مليئة بالموضوعات والعناصر ؟

وتلك الكتب أيضاً حرب على مستقلى المعلمين ومعوزيهم ؛ فالمعلم يجهد نفسه فى درس الانشاء الشفوى ، سالكا إلى غايته سبيلا مرسومة ، هى أهدى السبل فى اعتقاده ، بينما التلاميذ معرضون عن الدرس ، غير مساهمين فى المحادثة والنقاش ! وما الذى يكلفهم مئونة هذا العناء من الإصغاء والعناية والمشاركة ساعة وفى قدرتهم نقل الموضوع عن كتب الإنشاء إلى الكراسات ، وبهذا يؤدى مثل ذلك الواجب الثقيل ؟

وهكذا تقضى كتب الإنشاء على النشاط الصاعد فى نفوس الطلاب ، كما تعودهم الكسل العقلى ، وقلة الاهتمام بالانشاء ، ومن هنا كانت تلك الكتب التى يتبارى المعلمون فى إظهارها كل يوم داء لادواء ، وجناية ملئمة يدخل بها ذووها على نفوس المعلمين والمتعلمين جميعاً

— ٢ —

ومن المسلم به أن لكل معلم طريقة يعالج بها الموضوعات الإنشائية ، ولى ملاحظات على بعض مايتبع فى تعليم الانشاء أشير اليها فيما يلى :

لست أدرى لم يهتم المعلمون ، وبعض المشرفين على اللغة العربية ، بأن يتزود مبتدئو التلاميذ بطائفة من التعابير الشائقة ، والتراكيب الخلابة ، والأساليب الفصيحة ... ؟

ولست أدرى لم يلزمون هؤلاء المبتدئين أن يقتبسوا فى موضوعاتهم ، ما يتصل بها من الآيات والأحاديث ، والحكم والأمثال ، والأساليب الشعرية ؟

ولست أدرى لم نقدم اليهم لدى كل موضوع ، بعضا من التعابير المتناثرة المبتورة ، والجمل المتفرقة المصمتة ، ليُحلوا موضوعاتهم بما يشاءون منها ؟

حسن أن يتزود الناشىء بجديد المفردات . ومستطرف التراكيب ، ولكن كيف يتزود ؟ أيكون ذلك بأن تُـنتزع له هذه المفردات وتلك التراكيب انتزاعاً . ثم يكلف حفظها تكليفا جافا مشوشاً ، دون أن يعرف كيف ولا متى تستعمل ؟ لو كان ذلك كذلك ، لكنا عابثين غير منتجين ، ولكنا أيضاً متعسفين مع الوديعة التى بين أيدينا ، غير مسلمين بما يجب أن يقدم له من غذاء تشتهيه نفسه وتمسكه معدته ، فتهضمه وتمثله !

إن تزويد الناشئين بما ألمعنا إليه لا يتأتى لهم على النحو السابق ، وإنما يجىء عن طريق كتب حديثة ، كتب فى المطالعة الإنشائية ، يكون أساسها اختيار الموضوعات والأفكار التى تتناسب مع ميول المبتدئين وأسنانهم ، وأن نستعين بكل ما يخدم غاياتها من الاتجاهات الحديثة فى التربية وعلم النفس .

هذا من جهة الأساس ، أما من حيث المادة التى تؤلف كل موضوع ، فينبغى أن تكون على نحو جديد ؛ فنحن كما نعنى بالأفكار التى يشتمل عليها الموضوع ، يجب أن نعنى كذلك بالمفردات التى نرى تزويد الطالب بها فى ذات الموضوع ، وليكن سبيلنا فى إثارة انتباهه وشوقه إلى هذه المفردات ، أن نعرضها عليه فى تراكيب مختلفة ، وصور شتى ؛ فعلينا أن نعرض عليه الفعل الجديد ، ماضياً ومضارعا وأمراً ، ومجردا ومزيدا ، ومثبتا ومنفيا ، ومتصلا بضمير وغير متصل ، كما نقفه على مصدر هذا الفعل ومشتقاته ، والجموع التى يمكن أن تكون للاسم المشتق منه إلى آخر ما يمكن اشتقاقه وتوليده .

فإذا فعلنا ذلك ، وكررنا كل تركيب مرات على نحو ما نرى فى كتب المطالعة الإنجليزية الحديثة ، طريقة ويست ، فإننا نستطيع أن نحصل فى النهاية على طالب مفتن فى الإنشاء ، طالب يعرف كيف يطوع لنفسه المفردات والتراكيب التى عرفها بكثرة التداول ، والمرور أمام بصره ، دون أن يعتوره تعثر أوخطأ .

أما أن نكلفه حفظ صورة واحدة للكلمة الغريبة عليه ، كما يحصل فى مفردات المطالعة ، أو نعطيه عقب كل موضوع إنشائى شيئاً من التراكيب التى تتصل بالموضوع ، رجاء استخدامها وتحلية الموضوع بها ، فهذا عمل غير منتج كثيراً ، وقلما يكوّن منشئاً بالمعنى الذى نتصوره ، ونسعى إليه .

فإذا لم يكن بد من كتب للإنشاء — وهذا لازم — فالواجب أن تكون على الوضع الذى أجملناه . وقد آن لِلغُيُرِ من المربين أن يفكروا فى ذلك ، أما تلك الكتب التى تعتمد كثيرا على البهارج اللفظية ، ورواشنِ الصنعة الكلامية ، والمبالغة والتهويل فى التعبير والتصوير ، فإنها حرب على المعلمين ، وقيد لعقول المتعلمين ! !

— ٣ —

والذين ينادون بضرورة الاقتباس من القرآن والحديث، والحكم والأمثال والشعر، ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية مخلصون للغة، بقدر إساءتهم للإنشاء، وإرهاقهم للعقول الصغيرة! وأحسبهم يكادون يجهلون نوع الإنشاء المنشود من هؤلاء المبتدئين، والطاقة التى يقدرون عليها فى هذه المرحلة!

وليس الغرض من الإنشاء فى المرحلة الأولى، أن يستخدم الناشىء الاقتباس فى كتابته، وإنما المرجو منه — مع إرشاد المعلم — هو التمرين البدائى على الإبانة والإعراب عما فى نفسه من المعانى والخواطر الصغيرة إزاء موضوع ما. بعبارة من عنده سهلة صحيحة، فإذا نجحنا فى ذلك، أسدينا إلى مدرس الإنشاء فى المرحلة الثانوية صنيعا، حيث نقدم إليه تلميذا منظم الفكر، مرتب العبارة، كثير الاحتفال بالانشاء والرغبة فى الاستزادة منه، والترقى فيه. على أن الاقتباس أو الاستشهاد عملية عقلية مركبة. تحتاج إلى طاقة كبيرة من الدربة، ولطف الاحتيال، والتمهيد بعبارات ومقدمات يجىء بها القول المقتبس، كأنه من مقول المنشىء، وهذه العملية أشق وأصعب من الانشاء ذاته، وطالما رأينا التلميذ يضع البيت من الشعر، أو الجزء من الآية، فى حيث يعنُّ له، دون التفات أو اهتمام بالتمهيدات، التى تنتهى متسلسلة إلى القول المأثور، من غير التواء أو نتوء، وبذلك يُفسد إنشاءه، ويدع الموضوع يفقد بهجته ورواءه!

فإذا جاز لنا أن نعنى بالاقتباس، على أنه أحد الموارد المنمية للثروة اللغوية والأدبية، والكوة التى يشرف منها الطالب على صور فنّية رائعة، والفاكهة التى تثير أشواقه إلى سائر الأطعمة الأخرى - فإنما يكون ذلك فى منتصف المرحلة الثانوية، حيث يكون الطالب قد شدا فى ذوق الأدب شيئاً. وحيث يكون قد نما عقله، وكثرت دربته، واتسعت وتنوعت دائرة ثروته اللغوية، وصار استخدام القول المأثور، أو المثل السائر، لا يعجزه، أو يغلب احتياله، ومرونته الإنشائية.

— ٤ —

وعندى أننا سنظل بعيدين عن الغاية المثلى فى صياغة الطالب فى الإنشاء

الصياغة التى نرتضيها ، حتى تتعاون وزارة المعارف مع المعلمين كل التعاون . فالواجب على المعارف أن تضع تحت تصرف التلميذ فى كل سنة، من كل مرحلة . أكثر من كتاب وقصة فى المطالعة ، والواجب على المعلم أن يحسن استخدام هذه الكتب لخير التلميذ ونفعه ، وأن يثير أشواقه إلى استيعابها والإفادة منها ، معنى ومبنى ، وإذا كان موضوع الإنشاء الذى يكتبه التلميذ ، إنما هو خلاصة معارف الأسبوع ، وثمرة ما أفاد وحصل من اللغة ، ألا يكون من الواجب علينا للتلميذ أن نتعهد سائر فروع اللغة بالعناية والرعاية واليقظة ، وأن نحيلها إلى روافد تمد مجراه الإنشائى ، بكل عذب سائغ مفيد .

فدروس قواعد اللغة ؛ لم نشوه من جمالها ، ونقلل من شأنها وأثرها ، فنقدمها للتلاميذ على أنها مادة أو علم مستقل بذاته ، ثم جافةعارية ؟ ؟ إن من الإنصاف للعلم ، وربط السبب بالمسبب ، أن يفهم الناشىء ويقرر له لدى البدء فى دراسة القواعد ، أننا لا ندرسها لذاتها ، ولكن لأنها أساس الإنشاء ، وبقدر فهم التلميذ للقواعد والتطبيق عليها ، يكون حظه من الانشاء . فاذا استطعنا أن نشوقه إلى القواعد بمثل هذا القول ، وإذا استطعنا أن نجعله يلمس مقدار ارتباط الانشاء بالقواعد ، ومدى احتياجه إليها ، فاننا نكون قد ضمنا فى الغالب سلامة تركيبه . ونجحنا فى تحبيب القواعد إلى نفسه ، وإثارة همته لحذقها والإفادة منها .

ومن التهاون فى دروس التطبيق ـ شفويا كان أو تحريريا ـ أن نقبل من التلاميذ جملا تافهة المعنى ، ساذجة التركيب ، ومن الخير أن يرد إليهم المعلم كل جملة من هذا القبيل ! وإلا فتى وكيف يتقدم فى الإنشاء هذا الذى تطالبه بجملة فعلية ، فيقول لك مثلا : قرأ الولد ، أو لعب الرجل ؟ إن من الواجب التشدد والتدقيق فى تكوين الجمل ، حتى تجيء قوية الأداء والدلالة ، وحتى يأخذ التلاميذ أنفسهم من الصغر بالتعبير القوى ، والإنشاء الحسن .

ودروس المطالعة تعود بالنفع العميم على الإنشاء ، إذا استغلت فيما وضعت له ، وهى تتطلب من المعلم مجهودا فى إعداد كل ما يلزم لها من شرح مفردات . وتكوين أسئلة . ومن توجيه الأنظار والنفوس إلى التراكيب التى يصح أن يلتفت إليها الطالب ، ويعطيها عناية خاصة ، وكم يفيد المعلم حين يكلف تلاميذه

قراءة كتاب أو قصة خارج الفصل ، ثم يخصص كل أسبوع ، إحدى حصص المطالعة ؛ ليسألهم فيما قرءوا ، وليتخذ منه موضوعا للمناقشة والمحادثة ، وفى ذلك خير معين له وللتلميذ على النجاح فى الإنشاء .

وقد يكون من المفيد أن يجعل المعلم دروس المطالعة خادمة للإنشاء من ناحية أخرى ؛ فإذا شاء أن يعطى تلاميذه موضوعا وصفيا ، كان عليه أن يبحث فى كتاب المطالعة عن الموضوعات الوصفية ، ثم يختار منها موضوعا أو موضوعين متناسبين يجعلهما أساس المطالعة فى ذات الأسبوع الذى يعطى فيه ذلك الموضوع الوصفى ، وتلك فى الواقع هى فرصة التهيؤ الذهنى والنفسى ، كما أنها الفرصة الطبيعية القريبة ، لإمداد التلاميذ بما هو أدنى إلى طبيعة الموضوع الذى سيكتب عنه ، من الألفاظ والعبارات التى نوقش فيها حديثا ، وعرف بعض وجوه استعمالها ، فإذا سار المعلم على هذا النمط من الحفاوة بالانشاء وجعلِ المواد اللازمة له قريبة من أيدى التلاميذ وأفهامهم ، كان من الطبيعى أن يجىء موضوع الاملاء السابق للانشاء ، مشابها للموضوع الذى سيكتب عنه التلاميذ ، حتى يكون لديهم فوق ما سبق صورة كاملة ، يصح لهم أن يحاكوها ، ويتأثروا بها أثناء البدء فى كتابة الموضوع .

— ٥ —

وبعد فهذه خواطر سريعة ، قصدت بها أن أجمل الرأى فى كتب الانشاء عامة ، كما قصدت أن أبين العوامل التى تقلل من ثمرة طريقة الانشاء المألوفة ، مع الإلماع إلى ما يجب إدخاله على هذه الطريقة ، حتى تصير أكثر فائدة وإنتاجا . ولعل من يهمهم هذا الأمر يؤازروننا بآرائهم ، كى نصل فى النهاية إلى علاج يكاد يكون حاسما لهذه العلة ، التى طالما حارت فيها أفهام الأساة ، وضلت حيل النطاسيين ! إنهم إن فعلوا فقد أسدوا إلى اللغة والانشاء ، ثم إلى النشء الحائر يدا مشكورة ، وعملا مجيدا .

عبد العزيز عتيق

خطا الزمن الوثاب [1]

للشاعر الأديب سيد قطب

المدرس بحلوان الاميرية

خطا الزمن الوثاب . بعضَ التوثب   إلى أين ؟ قد أوغلت فى غير مذهب
تمـــرين كالأوهام لا أستبينها   وتمضين عنى موكبا إثر موكب
وإنى لكالمخمور قد غاب وعيـــه   وكالشبح الهيمان فى غير مطلب
تشابهت الأبعاد عندى فما أرى   أمامى فرقا بـــين ناءٍ ومكثب
ويا ربما نسى أمور قريبـــة   وأوغل فى الماضى البعيد المنكَّبِ

٭ ٭ ٭

خطا الزمن الوثاب . بعض التوثب   طويت حياتى بين صبح ومغرب
ففى لحظة ؛ أنظر إلى الأمل الذى   ضممت ثنـــاياه على كل معجب
وأسترجع الماضى رويداً وهينة   أداعب فيه الطفل أو أضحك الصبى
وأسمع أوهام الفتى وخيـــاله   كما يسمع المشتاق ألحان مطرب
ففى لحظة ؛ أنظر إلى الأمل الذى   أبحت له من مهجتى كل مشرب
وغذيتـه نفسى ، وقد بعت دونه   حواضر أيامى وماضى المجرب
ففى . أنت قد جفَّلت ماضِيَّ فانزوى   ونفَّـــرتِ آمالى وعَمَّيْتِ مأربى

٭ ٭ ٭

تمرين ياأيام قفـــراء ؟ أم أنا   خويتُ من الاحساس؟ قولى وأطنبى
وأحسب أن لن تعربى بمقـــالةِ   إذا كان سمعِى لا يصيخُ لمعرب !

سيد قطب

---

(١) من ديوان « أصداء الزمن » الذى سيصدره الشاعر فى أول ديسمبر .

أين الصديق ؟

للشاعر الأديب عبد الخالق المسيرى
المدرس بمدرسة الزقازيق الثانوية

كم أنادى الصديق من كل نفسى وهو نام كأنه رهن حبس
هل دواعى الهموم أعدته منى وابتلتــه مثلى بغم وتعس
فغــدا كوكب السعود لديه عاثرًا واستحال كوكب نحس ؟
أم رآنى حليف هم ووجد فعــدا طالباً مجالس أنس
وانضوى تحت راية اللهو يمشى كانضواء الجنود تحت الدرفس
حيث نيران لهوه وهواه ذاكيات من فعل طاس وكأس
إلى أن يقول :
وطيور الصفاء تشدو لديهم بأفانين من غنــاء وجرس
مجلس ضم ما تطيب له النفــس ، وما شابه الزمان بوكس
ليتهم يذكرون صــبًا معنى غير أن الأيام تلهى وتنسى
فكأن لم أكن جليس صحاب ورفاق تركتهم منـذ أمس
وكأنى بهم قبيـل من الخلــق غريب ، لا من قبيلى وجنسى
أو كأنى بهم رؤًى قد رأتها عين فكرى ولم تُحَقق بحسى
أو خيـالات وامق عرضتها فى دياجى الظلام جن لإنس
أو منـام رأيتــه وتولى كل شىء فيــه لمطلع شمس
قد نسونى كأنهــم لى عدو يبتغى فرصة لوكسى وبخسى
فعلى رفقة الرخاء ســلام حيث خابت فيهم ظنونى وحدسى

عبد الخالق المسيرى

كلمة وفاء

إلى المرحوم أحمـــد يوسف بدر

بقلم فايد العمروسى

المدرس بالمنيرة الابتدائية

تتحمل الفجيعة على مرارتها والنفس حزينة دامية ، وتطاق النكبات على فداحتها والقلب جريح محطم ، ولا عزاء فى ذلك كله إلا صفاء الايمان ، وقوة العزيمة ، وطهارة السريرة ، والوثوق بان قانون السماء هو رحمة للبشرية فى بقائها أو فنائها !

وهذا عزاؤنا فى فقيد الرجولة والأدب ، المرحوم ، أحمد يوسف بدر ، أجل : هو عزاؤنا الجميل فيه ، وصبرنا الوادعُ عنه ، وما من شىء فى هذى الحياة يُطمئن النفس فى فجيعة أمل يذوى ، وشباب يذهب ، ونفس عفيفة تكفن ، وخلق برىء يدفن ـ سوى الشعور العميق بالصبر وان كان جازعا ، وبالعوض وإن كان قاصراً ، وبالسلوى وإن كانت تجيش بالهواتف الأليمة ، والذكر الحزينة !!

٭٭٭

لم يكن شابا يعيش كالشباب ، راضيا بالتافه من الأمل ، مطمئنا إلى القريب من الحظ ، راضخا للواقع من الأمر ، مستكينا لنوازع الخوف ، مستسلما لِمَبَاذل الهون . . . !

ولم يكن حيا من الأحياء المنسجمين مع طبيعة السطحية الفاترة ، تُغْريه الطعمة اللذيذة ، والرغبة الوضيعة ، وتغنيه المتعة الحيوية الرخيصة التى يحسبها غيره أقصى مناه ، وغاية ما يرجو فى الحياة من توفيق أو رجاء .

لا . . ولكنه كان شعلة من النشاط ، ووقدة من الذكاء ، وحركة دائبة من العمل ، هذا إلى ما كان فيه من قوة العزيمة ، وصلابة الجَلَد ، وشرف الرجولة ،

وكمال المروءة : المروءة التى امتزجت بدمه ولحمه ، فأصبحت من ذاته جزءا متمما لها ، ونفحة من نفحات شعوره ووجدانه .

° °°

بدأ الفقيد دراسته فى « دار العلوم » على خير ما يكون التلميذ يقظة فى فكره ، واعتزازا بذاته ، وتفانيا فى القيام بكل واجب له صلة بدراسته ، أو مساس بإنسانيته ، فكان نعم المعين لإخوانه ، يلقون إليه بأمورهم فيحمل ، وينادونه فى شدائدهم فيجيب !

ثم تخرج فيها ، فتلقى الحياة العملية قوياً واثقاً من نفسه ، معتمدا على إخلاصه وجده ، فلم يتراخَ فى السعى المشرِّف ، ولم يضعف أمام ما لاقاه من شدائد وعقبات ، فطورا تراه تاجرا ، وحيناً تراه مدرسا ، وآنا تراه صحفيا قديرا ، يعالج من الأمور أهمها ، ومن المسائل أدقها ، وقلمه فى الحركة الفكرية معروف ، وجهاده فى النواحى الأدبية والاجتماعية مشكور !

مواهبُ ممتازة كتلك ، فى نفس مشبوبة كنفس الفقيد ، فقدها أليم ، والشعور بها آلم وأمر ، وأدهى من هذا وذاك ، أن يطوى فيخمد ذكره النسيان ، وتنهال عليه غفلات البِلَى والعفاء !

ومثله لا يبلى ، فقد عاش كريماً أبيا ، ورحل وفى الحياة ظلال لحياته ، وفى صفحات التقدير سطور وضيئة بمكرماته !

فعزاء إلى « دار العلوم » فى ابنها العبقرى الراحل ! ودمعة منى يافقيد الأدب وفخرَ الشباب . . . !

فاير العمروسى

في عالم التأليف

الإنشاء الفنى

فى كلمة سابقة، على صفحات هذا العدد، أجملت رأيى فى كتب الانشاء. وفى هذه الكلمة أحدث القارىء عن واحد من تلك الكتب : ذلك هو « الانشاء الفنى » وأنا حين أتكلم عنه، سأنظر اليه ككتاب ألف وظهر، بغض النظر عن رأيى السابق.

***

فكتاب « الانشاء الفنى » ألفه الأستاذان عبد العزيز عطيه، وحسن البنا، المتخرجان فى دار العلوم ، وأخرجته المطبعة الرحمانية فى مائتين وأربع وستين صفحة من القطع الكبير.

والقارىء فى الكتاب، يلمس فى ثناياه مجهوداً طيباً، يشكر عليه المؤلفان الفاضلان؛ فقد خاضا بأقلامهما فى مناحى الانشاء المُعَبَّدْ والآبِدة ، وقصدا حقا أن يذللا للناشىء كل ما قد يستعصى عليه، أو لا يحسنه من ضروب الانشاء.

وقد عنيا فى كتابهما بأدب المقالة والخطابة، والقصة والرواية ، ووضحا طريقة تلخيص المطول، وإيجاز المسهب ، كما اهتما بكتب المعاملات والرسائل التلغرافية، والمراسلات التى تدور عادة بين التجار والحرفاء ، أو بين هؤلاء وبين الصناع، أو بين الأفراد والشركات والمصارف، مما يحتاج اليه الناشىء فى ذلك العصر أكثر من رسائل الشوق والتهانى ... !

كذلك أوردا طائفة من أسماء الصناعات والصناع ، وجمعا أشتاتا من أسماء أجزاء الحيوان والأشجار والنبات ؛ كالخضر والفواكه والأزهار، وكذلك أسماء كثير من الآلات، وإن كان بعضها يتجانف وذوق العصر .

وفى الكتاب فصل خاص بمكتبة التلميذ المنزلية ، وقد حشدا فيه أسماء

مشهورى الكتاب المعاصرين ، مع التعريف بشيء من مؤلفاتهم ؛ تشجيعاً للطالب على اقتنائها ، أو الاطلاع عليها ، والإفادة منها .

أما معالجة الموضوعات النموذجية ، فقد تحريا فيه العناصر المهمة الغريبة ، فى عبارة أقرب إلى الرصانة والتركيز ، وكل ما ننصح به فى هذا الصدد ، إنما هو التدقيق ، والقصد فى استعمال التراكيب .

والذى يطلع على الكتاب، يرى أن المؤلفين قد أعداه للمدارس الابتدائية والثانوية بنين وبنات، وللمعلمين والمعلمات، والمدارس الصناعية . وطلبة الشهادتين الابتدائية والثانوية بالجامعة الأزهرية ؟ أى لكل من يزاول الإنشاء فى جميع مناحى التعليم .

ولكن كيف يتسنى لكل طائفة ممن عناهم المؤلفان أن تعرف الموضوعات التى أعدت لها ، والتى تتناسب مع طاقتها الثقافية والعقلية ؟

وكيف يتصرف التلميذ حين يرى نفسه بين موضوعات مختلفة ، لا يدرى ماذا يقرأ منها ، أو ماذا يدع ؟ أيقرأ الكتاب جميعه طلباً لموضوعات تتكافأ مع درجته ، أم ينصرف عن الكتاب ، عجزا عن العثور على ضالته ؟

أوَ ما كان الأوفق والأنسب ، أن يخرج المؤلفان ما يخص كل طائفة فى كتيب ، أو أن يبوبا الكتاب ، فيجعلا لكل طائفة بابا خاصا ؟

أجل لقد كان ذلك أول الواجبات على من يتصدى للأعمال الفنية. فما تقوم الآثار الفنية ، أو يقوم الفن إلا على دعائم من النظام ، وحسن الترتيب والتبويب !

وكيف فاتهما أن يكون الكتاب صورة للطباعة الحديثة، ونحن فى عصر تتفاضل فيه ثمرات المطابع بالشكل والمظهر وجودة الاخراج ، تفاضلها بالجوهر واللباب؟

ولعل العذر فى ذلك راجع إلى ما يتطلبه ذلك من نفقات .

والخلاصة أن الكتاب ذو حسنات ، وفيه مادة وفيرة للقارىء ، ونحن نوصى المعلمين ، وننصح الطلاب باقتنائه ككتاب مطالعة ، راجين له الذيوع والانتشار .

ولا أدع القلم حتى أهنىء الزميلين الفاضلين ، وأشكر لهما الغيرة على إحياء اللغة العربية ، وعسى أن نطلع لهما فى القريب على مؤلفات أخرى (إن شاء الله) .

عبد العزيز عتيق

فهرس العــــدد الثانى

من الســـنة الرابعة